جهاد واجتهاد

مقتطفات من مذكرات سماحة المرجع الديني
الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)

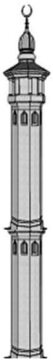

دار الصادقين

للطباعة والنشر والتوزيع

النجف الاشرف / شارع الرسول صلى الله عليه وآله

٠٧٨٠٨٢٨٩٣٦٤

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

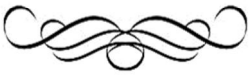

حياة في ظلال الإيمان
السيرة الذاتية لسماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

نسبه وأسرته [1]

هو الشيخ محمد بن الشيخ موسى بن الشيخ محمد علي بن الشيخ يعقوب بن الحاج جعفر.

أبوه الشيخ موسى (١٣٤٥-١٤٠٢ هجرية / ١٩٢٦-١٩٨٢ميلادية) خطيب شاعر أصدر مجلة الإيمان في النجف (١٩٦٣- ١٩٦٨) وكانت لسان النجف المعبّرة عن آلامها وآمالها ـ كما وُصفت ـ في تلك الحقبة الزاهرة من حيث وجود المفكرين والعلماء العظام، والمضطربة بالتيارات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي ماجت بها النجف وعموم العراق.

جده لابيه الشيخ محمد علي (١٣١٣- ١٣٨٥ / ١٨٩٦- ١٩٦٥) الملقب بشيخ الخطباء لكونه مؤسس مدرسة جديدة في الخطابة وتخرج على يديه عدد كبير من رموز المنبر وقد أشار الى ذلك الخطيب الشهير المرحوم الشيخ احمد الوائلي في كتابه (تجاربي مع المنبر) محقق ضليع في التاريخ والادب والرجال وله مؤلفات وتحقيقات جليلة.

(١) تارة يكون الكلام بصيغة الغائب وأخرى بصيغة المتكلم ومصدر الكتابة واحد

وجده لامه الشيخ مهدي شقيق الشيخ محمد علي (١٣٠٠-١٣٧٢ هـ) خطيب وشاعر وله عدة مولفات وترجم له اخوه الشيخ محمد علي اليعقوبي مفصلاً في كتاب (البابليات)

وجد أبيه الشيخ يعقوب (١٢٧٠- ١٣٢٩ / ١٨٥٣-١٩١٠)، شاعر كبير وخطيب ماهر مؤثر في المجتمع خصوصاً الشباب استفاد من المدرسة العرفانية للشيخ حسين قلي الهمداني والشيخ جعفر الشوشتري، له ديوان مطبوع.

ورأس الاسرة الحاج جعفر (١٢٠٠- ١٢٨٩) ــ الذي يتفرع منه آل اليعقوبي المنتشرون اليوم ــ من وجهاء النجف وكانت له أملاك كثيرة وقد اعتمد عليه الشيخ موسى بن الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء المتوفى سنة (١٢٤٣) في بناء سور النجف لحمايتها من هجمات الوهابيين.

وقد سكنت الأصول الأولى للأسرة مدينة النجف منذ قرون بحيث إن الشيخ يعقوب المتقدم ذكره المولود في النجف (١٨٥٣) يعبر عنها بمواطن آبائي في أبيات يقول فيها:

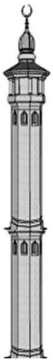

تغرّبتُ عن أرض الغري فلم تكن تقر عيوني أو تطيب حياتي
حبستُ ركابي عندها اليوم بعدما أذبتُ عليها النفس بالزفرات
مواطن آبائي بها وأحبتي وفيها مغاني أسرتي وسُراتيه[1]

والأسرة عربية المحتد تتفرع عن قبيلة الأوس الأنصارية وجدهم معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة بن عامر كان قائد قوات زيد الشهيد ابن الإمام زين العابدين عليه السلام واستشهد معه، وزيد بن حارثة أو يزيد بن جارية على اختلاف النسخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وبضم القرائن اعلاه نستنتج ان الاصول الاولى للاسرة من الانصار الذين هاجروا من المدينة المنورة وساروا في ركاب امير المؤمنين عليه السلام الى العراق واستوطنوا الكوفة حتى اضمحل دورها وبرزت النجف كمدينة وحاضرة علمية فأنتقلوا اليها وقد أشرت إلى تفاصيل عن الأسرة في كتاب (الشيخ موسى اليعقوبي: حياته-شعره)، وذكرت هناك مصادر الدراسة عن اعلام الاسرة ، ككتاب (معارف الرجال) للشيخ محمد حرز الدين و (اعيان الشيعة) للسيد محسن الاميني العاملي و كتاب (البابليات) للشيخ محمد علي اليعقوبي و (طبقات الشيعة) للشيخ علي كاشف

(١) ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر.

الغطاء و (الطليعة) للشيخ محمد السماوي (رحمهم الله جميعا) وغيرهم.

ولادته ونشأته

ولد في النجف الأشرف فجر المولد النبوي الشريف (١٧) ربيع الأول (١٣٨٠) الموافق (٩) أيلول (١٩٦٠) في بيت جده اليعقوبي ونشأ هناك حتى عام (١٩٦٨) حيث انتقل والده إلى بغداد لارتباطه بمسؤوليات دينية واجتماعية مع المرحوم الشهيد السيد مهدي نجل المرجع الديني الكبير السيد محسن الحكيم.

أكمل دراسته الابتدائية والثانوية بتفوق فقبل عام (١٩٧٨) في قسم الهندسة المدنية من كلية الهندسة في جامعة بغداد وتخرج فيها عام (١٩٨٢) وتخلف عن الخدمة العسكرية منذ اللحظة الأولى لأنه كان يرى أن مجرد الانضمام الى القوات المسلحة في عهد المقبور صدام هو معونة للظالمين وركون اليهم، وتربيته الرسالية تأبى ذلك فانزوى في الدار سنين ستاتي الاشارة اليها فبقي رهين الحبس الاختياري حتى انتهاء الحرب العراقية الإيرانية عام (١٩٨٨)، وفي نهايتها اقترن بكريمة المرحوم الشهيد السيد محسن الموسوي الغريفي وبين الأسرتين مصاهرات متعددة.

صاحب والده كثيراً منذ صغره في مجالس خطابته وإلى المساجد التي كان يقيم فيها الصلاة جماعة وكان يحفظ عدداً من الأدعية فيقرأها على المصلين بعد أداء الفرائض وهو دون العاشرة من العمر ومن هنا بدأت نشأته الدينية وكان ينقل الى والدته بعد عودته الى البيت الموضوع الذي تحدث عنه والده بالتفصيل وكان والده يعرفه الى اخوانه ومعارفه في المجالس والمنتديات لنبوغه في الحساب فيمتحنونه وهو دون السابعة من العمر بمسائل في الضرب والجمع وهو يجيبها فوراً ولا زال عدد من أقران أبيه يتذكرون ذلك ومن بين الذين استانسوا بهذه الموهبة المرجع الديني الكبير المرحوم السيد محسن الحكيم المتوفى عام (١٩٧٠) وكان يقدم له هدية بعد الامتحان.

وبعد انتقالهم إلى بغداد سكنوا الكرادة الشرقية قرب جامع التميمي مقر المرحوم السيد مهدي الحكيم وكانت الكرادة يومئذ تزهو بالعلماء العاملين والمفكرين والشباب الواعين كالسيد مرتضى العسكري والشيخ عارف البصري قدس سره وفيها مكتبات قيمة في جميع حقول العلم والمعرفة فكان أخوه الأكبر المرحوم الشيخ علي يصحبه معه حباً به واعتزازاً ورعاية لمواهبه فاستفاد كثيراً من ذلك وكان يأتيه بالكتب المصورة للأطفال التي كانت تصدر في

عدد من البلدان الإسلامية خصوصاً سلسلة القصص الديني للأطفال التي كانت تردنا من مصر فبدأت علاقته بالكتاب الديني وتعلق به ثم بدأ بقراءة كتب التاريخ والسيرة والرجال لما فيها من طابع قصصي مع ما فيها من الدرس والعبر.

وفي بداية السبعينيات بدأ المرحوم السيد علي العلوي (الذي كان يقيم صلاة الجماعة في منطقة العبيدي) مشروعاً للاستفادة من العطلة الصيفية للطلبة بفتح دورات دراسية في العلوم الحوزوية على مستويين:

الاول: للشباب حيث يدرس السيد بنفسه الشرائع والمنطق وقطر الندى.

والثاني: للاطفال يدرس فيها اولاده كتباً مبسطة كالنحو الواضح لعلي الجارم فكانت لهذه الدورة التي استمرت سنة أو سنتين ـ حيث سُفِّر المرحوم العلوي إلى إيران عام (١٩٧٤) ـ أثر واضح في صقل شخصيته وتفكيره وكان بنفس الوقت يعطي دروساً متنوعة بحسب ما استفاد هو من مطالعاته ومن دراسته ومن حضوره في مجالس ابيه قبل صلاتي المغرب والعشاء التي كان يقيمها والده جماعة في مدينة الفضيلية ببغداد.

انتمى في الصف الثاني المتوسط عام (١٩٧٣) إلى مدرسة

الامام الجواد الاهلية الشيعية التي كانت تهتم بالتوعية الاسلامية اضافة الى الدروس الاكاديمية المتعارفة، ودرس التربية الاسلامية فيها عند المرحوم الشهيد الشيخ عبد الجبار البصري الذي كان يقيم صلاة الظهرين جماعة قبل انفضاض الطلبة الى بيوتهم.

وخلال سنتين من وجوده في المدرسة تعلم الكثير وفتح عينه على مستوى اعلى من الكتب الدينية كالمدرسة الاسلامية للشهيد السعيد الصدر الاول قدس سره حيث كان احد زملائه من النشطين في هذا المجال يعدّ خلاصات لكتب السيد الشهيد الصدر الاول قدس سره ويلقيها علينا وكنا خمسة أحدهم المرحوم الشهيد الحاج جمال رضا علوان واثنان من السادة آل الحيدري.

ولما كانت الظروف الامنية صعبة آنذاك حيث اعدم الشيخ عارف البصري واقرانه عام (١٩٧٤) فكانوا يتخذون التجوال في شوارع الكرادة الشرقية الهادئة فرصة لتناول هذه الافكار.

وخلال وجوده في المدرسة بدأت تنمو عنده القابلية على البحث والكتابة حيث كلفه احد المدرسين بكتابة تقرير فاختار الكتابة عن الخمر ونظراً لوجود مكتبة كبيرة في بيته وممارسته مع الكتب فقد اجتمعت عنده معلومات كثيرة عن الموضوع وفي النهاية اصبح كتاباً يناهز المئتي صفحة عنوانه (الخمر أم الخبائث)

راجع فيه كتب التفسير والتربية والطب والاجتماع وكان مرتباً بشكل جيد.

وبعد انتهاء الدراسة المتوسطة عام (١٩٧٥) التحق بالاعدادية الشرقية في الكرادة وكانت فرصة اكبر للالتقاء بنخبة من الشباب الرساليين الذين اثمرتهم في نهاية السبعينات حركة الشهيد الصدر الاول التحق عدد منهم بربهم شهداء بعد ذلك وبقي آخرون لازالت ذكريات صحبتهم والفترة التي عاشوها لها طعمها الخاص في النفس.

وبعد انتهاء الدراسة الاعدادية عام (١٩٧٨) دخل الجامعة وقُبل في قسم الهندسة المدنية في جامعة بغداد لرغبته فيها دون كلية الطب التي تقل عن هذا القسم بمعدلات القبول يومذاك.

وكانت أحداث الثورة الاسلامية في ايران تتصاعد والاهتمام منشد الى مجرياتها وكان الجميع يتحلقون حول المذياع وكلهم آذان صاغية خصوصاً لاذاعة صوت (مونت كارلو) الفرنسية حيث كان يقيم السيد الخميني قدس سره قبل عودته الى ايران في نشرة الساعة الثامنة مساءً حيث يعطي تفصيلاً أخبار الثورة حتى وصول القائد السيد الخميني قدس سره الى ايران في الاول من شباط (١٩٧٩) وانتصارها في الحادي عشر منه وعمّت الفرحة كل المظلومين والمحرومين

التواقين للعدالة والحرية، وكان الرساليون الأكثر فرحاً، واحتفل طلبة الطب والهندسة في القسم الداخلي الموحد ووزعوا الحلوى.

وفي صيف ذلك العام بعد انتهاء الامتحانات النهائية شنّت سلطات الامن القمعية حملة اعتقالات طالت الكثير من الشباب الواعي المتدين وتقلد صدام منصب رئيس الجمهورية في تموز من ذلك العام وازال معارضيه البعثيين ليطلق العنان ليده الاثيمة في فعل ما يشاء حتى اقدم على جريمة العصر باعدامه الشهيد العظيم السيد محمد باقر الصدر في نيسان (١٩٨٠) ونحن في المرحلة الثانية من الدراسة فازداد الوضع الامني سوءاً وتكثف العمل بالتقية بعد قرار ما يسمى بمجلس قيادة الثورة المشؤوم في آذار (١٩٨٠) باعدام كل من يرتبط بحركة السيد الشهيد الصدر قدس سره.

وفي ايلول (١٩٨٠) بدأت الحرب مع الجمهورية الاسلامية في ايران ونحن في بداية الدراسة في المرحلة الثالثة ومرّت أيام عصيبة ذقنا فيها الخوف والفزع لان العيون تتربص بنا وحاولوا ايقاعنا في الفخوخ لتحصيل تهمة ضدنا وكان ينجينا الله تبارك وتعالى وكانوا يصرّون على انتمائنا لحزب البعث ونحن نرفض بذرائع شتى فيتركوننا ويعودون الينا وبقينا على هذا الحال والحرب مع الجمهورية الاسلامية مستمرة وبدأت القوات الايرانية تستعيد

التوازن وتحقق الانتصارات خصوصاً في الشوش ودزفول في آذار (١٩٨٢) وفي المحمرة في مايس (١٩٨٢) ونحن في الامتحانات النهائية للمرحلة الرابعة ولم يكن يمنعنا ذلك من الانشداد الى المذياع. ومتابعة اندحارات وهزيمة صدام وأزلامه.

وكمحاولة لتأجيل إلحاقنا بالخدمة العسكرية بعد تخرجي قررت ترك الامتحان في درس واحد لكي اتأخر عدة اشهر عسى ان يفرّج الله تبارك وتعالى لان الخيارات المطروحة احلاها مر ولكن أي درس اترك فإنه سيؤثر على معدل التخرج، وحينئذ قررت ترك الامتحان في درس (الثقافة القومية والاشتراكية) الذي يوجه الطلبة بافكار حزب البعث وكانت مجازفة وعناداً للنظام وهو في عنفوانه وزهوه، ولا انسى مسؤول ما يسمى بالاتحاد الوطني للطلبة حينما سلمني نتائج الامتحانات وهو ينظر اليّ بعينين مريبتين: أنت محمد موسى؟ ويفهم منها العاقل ما يفهم لكنني توكلت على الله تبارك وتعالى ولم اكترث ونجانا الله منها.

وبعد نجاحي في الدور الثاني كان عليَّ ان أؤدي الخدمة العسكرية، وكنت عازماً داخل نفسي على رفض الانخراط فيها لاني أراها من الكبائر لما فيها من الركون الى الظالمين، فكان امامي احد خيارين:

الاول: عبور الحدود الى الجمهورية الاسلامية والهرب اليها بسرعة ما دامت وثائقي الجامعية بعد لم تسقط وهو قرار محفوف بالمخاطر لان الجبهات جميعا كانت تشهد معارك ضارية بين آونة واخرى.

الثاني: الاختفاء في البيت والتخلف عن الخدمة العسكرية وعاقبته الاعدام وقد كثر المنافقون والواشون حتى قتل الاب ولده والمرأة زوجها خوفاً من ان يدان الجميع بتهمة التستر واخفاء (الخونة) بحسب زعمهم.

فعزمت على الاول لانه اسلم لي ولاهلي رغم صعوبة الطريق عن شمال العراق بواسطة بعض الاكراد ورغم ما فيه من كسر قلب والدتي التي فقدت والدي قبل ثلاث اشهر في تموز (١٩٨٢) وسيق ثلاثة من اخوتي الى الخدمة العسكرية في نفس السنة وكان الرابع مصاباً بعجز الكليتين وطريح الفراش فكنت انا سلوتها ولكنها لم تكن تعارض لي قراراً وودّعت اهلي في صبيحة احد الايام الاولى من تشرين الاول عام (١٩٨٢) مغادراً الى الجمهورية الاسلامية لكن الوسيط لم يحضر الى المكان المقرر وفشلت السفرة وبرّر ذلك بنشوب قتال في المنطقة المقررة للعبور.

وحمدت الله تبارك وتعالى وعدت الى البيت وكم كانت

فرحة امي بي وقالت انك حين غادرت كان كيوم فقد ابيك.

فلم يكن لي بد الا الخيار الثاني فمكثت في البيت وكان بعض الاخوة الرساليين يزودونّي بوثائق الاجازات الاعتيادية الطبية التي تنمح للعسكريين لكي لا تتعرض لهم سيطرات الانظباط العسكري، واحتفظ بتلك الوثائق لاحتمال مداهمة البيت من قبل الاستخبارات النظام او عندما يتحتم عليّ الخروج لضرورة، ليشعر المراقبون لي أنني جئت إلى أهلي باجازة اعتيادية، ومضى على هذا الحال الشهر والشهران والسنة والسنتان وكلما نقول إقترب الفرج واذا بالامل يبتعد ولم يعد أحد يعرف كيف ومتى ستنتهي الحرب، ولكني رغم ذلك ربما كنتُ اسعد انسان في تلك الايام لاني كنت في حالة روحية سامية ارافق القران الكريم والكتب التي احتوتها مكتبة والدي وسجادة الصلاة والراديو الذي اتابع فيه أخبار الجمهورية الاسلامية والحرب مع العراق ولا التقي بالآخرين حتى اهلي إلا قليلاً حيث كنت حريصاً على استثمار وقتي بأمثل صورة.

ومن لطف الله تعالى بي ان المكتبة ضمت امهات المصادر التي تُكوّن شخصية المؤمن الرسالي وفي مختلف حقول المعرفة ففيها الميزان وفي ظلال القرآن ووسائل الشيعة وشرح النهج وتاريخ الطبري والمراجعات وغيرها في التاريخ والادب والتفسير

والفقه والاصول والرجال والوعي الاسلامي وكنت أثبت في اوراق رؤوس الافكار للكتب التي أقرأها برقم الصفحة والجزء ليتسنى لي الوصول اليها بسهولة متى شئت ولازلت احتفظ بتلك الاوراق.

وكنت ولعاً بالقرآن الكريم وتفسيره فختمته عشرات المرات في تلك الفترة واعتقد ان كثيراً من الالطاف الالهية التي غمرتني ولازالت هي بسبب صحبتي للقرآن وتعلقي به.

ونشأت لدي نتيجة هذه المطالعات المركزة افكار أصيلة وبحوث قيمة وكنت احتاج الى من يراجع لي جهدي ويوجهني ويرعاني فان القراءة وحدها لا تكفي واريد ان أصل الى مراتب اعلى لا تكفي القراءة وحدها لنيلها ولم يكن على الساحة من ينفعني في ذلك بسبب غياب الاكثر بين سجن وتشريد واعدام او سِيقوا الى الخدمة العسكرية، وعمل الموجودين بالتقية، وحصاري في البيت.

الى ان هيأ الله تبارك وتعالى سبباً للاتصال بالسيد الشهيد الصدر الثاني بالشكل الذي سأتحدث عنه بإذن الله تعالى في فصل مستقل فبدأت نقلة كبيرة في حياتي وفتحت امام عيني آفاق واسعة.

وبعد انتهاء الحرب العراقية الايرانية وتخفيف قبضة النظام

نسبياً سعيت الى تحقيق رغبتي في الانتماء الى الحوزة العلمية الشريفة وتكميل وانضاج تلك الحصيلة من المطالعة والثقافة ومهدت لذلك بالعودة الى النجف الاشرف والاقامة فيها عام (١٩٨٨).

واستخرت الله تبارك تعالى فكانت النتيجة هي التريث فلم يكن امامي إلا الانشغال بالكسب لأني أصبحت مسؤولاً عن اسرة وزارني السيد الشهيد الصدر الثاني اكثر من مرة الى محل عملي ولم يكن يشغلني العمل عن مواصلة المطالعة وكتابة البحوث وكانت احد اعمالي وانا في محل الكسب كتاب (الرياضيات والفقه) الذي طبعه استاذي السيد الشهيد الصدر الثاني في نهاية الجزء الثامن من كتاب (ما وراء الفقه) ثم طورته كماً وكيفاً بعد التحاقي الى الحوزة الشريفة الى كتاب (الرياضيات للفقيه).

وبعد انتهاء الانتفاضة الشعبانية المباركة واستقرار الوضع اعدت الاستخارة فكانت النتيجة جيدة جداً وتحقق الامل الذي كنت أصبو اليه منذ سنين وارتديت الزي الديني في شعبان (١٤١٢) الموافق شباط (١٩٩٢) على يد المرحوم آية الله السيد الخوئي قدس سره وبمحضر عدد من العلماء والمجتهدين الذين هنأوني بذلك وترحموا على والدي وجدي وفرح السيد الشهيد الصدر الثاني

عندما أخبره أخي المرحوم الشيخ علي بذلك وأخذ يتلفت يمنة ويسرة لعله يراني بهذا الزيّ المبارك وعبّر عن الحادثة بـ(انها بشرى حقيقية).

الدراسة الحوزوية

التحقت بجامعة النجف الدينية برعاية المرحوم السيد محمد كلانتر قدس سره لانها المؤسسة الوحيدة التي كانت الدراسة فيها منتظمة نسبياً اما بقية المدارس الدينية فكانت لاتزال اشبه بالمعطلة بسبب تداعيات الانتفاضة الشعبانية واقتحام الجيش للمدن الثائرة حيث عاث فيها بالفساد والتدمير وحتى في الجامعة التي كانت آمنة تقريباً لم نكن نجرأ بالدراسة في حرم الجامعة كما تنص عليه الوقفية خوفاً من إثارة حفيظة السلطة فكنا ندرس في غرف السكن مدة ولم يكن يتجاوز عدد طلبة الجامعة (١١) طالباً.

ونظراً للحصيلة العلمية والثقافية التي كانت لديّ فقد قبل السيد كلانتر قدس سره المعروف بحزمه الشديد في الإلتزام بالمنهج الدراسي المخصص بالترتيب ان أبدأ دراستي مباشرة من اللمعة واصول الفقه للمظفر وكنت أأخذ درسي لمعة في اليوم ودرساً في الاصول وامتحنت مباشرة بعد انتهاء تعطيل شهر رمضان أي بعد

بضعة أسابيع من دراسة هذين الكتابين في مكتب السيد الخوئي قدس سره وكانت درجتي (٩٥٪).

وكنت أحياناً أنظم درساً ثالثاً في اللمعة وثانياً في أصول الفقه؛ لذلك طويت هذه المرحلة بسرعة بفضل الله تبارك وتعالى، فانتهى كتاب اصول الفقه للمظفر مع حلول شهر رمضان (١٤١٣) وبعد عطلة العيد شرعنا بدراسة الكفاية وبدأت بالتزامن معه دراسة الرسائل للشيخ الاعظم الانصاري قدس سره وأكملتهما بعد أكثر من ثلاث سنين.

وبدأت دراسة المكاسب في ربيع الاول (١٤١٤) عند المرحوم السيد محمد تقي الخوئي في مسجد الخضراء وأكملت عنده قسم المكاسب المحرمة وشيئاً من كتاب البيع حتى وافاه الاجل بحادث سيارة في صفر (١٤١٥) فحضرت مقداراً آخر عند بعض الأعلام ثم درست الخيارات الى آخر الكتاب عند علم آخر.

وخلال هذه الفترة كنت سنداً للسيد الشهيد الصدر قدس سره في حركته المرجعية وملازماً له في مكتبه وفي صلاة الجماعة. وخلال تلك المصاحبة كنت أستشمر خلوّ مجلس السيد الشهيد الصدر من المراجعين في أوائل مرجعيته فأسأله عن الكثير من الآراء العلمية التي اتلقاها في دروسي وتحصل عندي مناقشات عليها او تنقدح

في الذهن من افكار وكانت لهذه المناقشات الاثر الكبير في صقل مواهبي العلمية.

تعلمت من اساتذتي (رحم الله الماضين وحفظ الباقين) كلهم غير العلم الذي اخذته الالتزام بالتحصيل والمواظبة عليه بدقة والاحترام المتبادل والادب الرفيع الذي رسمته كتب الاخلاق للعلاقة بين المعلم والتلميذ.

لم أكن أفكر بالالتحاق بالبحث الخارج حتى أُكمل دراسة السطوح لكن أستاذي الشهيدقُدِّسَ سِرُّهُ شجعني على الحضور بعد الانتهاء من نصف كتاب الكفاية فمن خلال المناقشات التي كنت اجريها معه قالقُدِّسَ سِرُّهُ انك تستطيع ان تفهم مطالب البحث الخارج فلم اجد بداً من تلبية رغبتهقُدِّسَ سِرُّهُ وتحقيق حلمي في ان احضر البحوث العالية عند الاساتذة العظام وهو لا يتعارض مع دروسي الاخرى التي حرصت على اكمالها، لانهقُدِّسَ سِرُّهُ كان يلقي بحث الاصول عصراً فابتدأت بالحضور في أواخر شوال (١٤١٤) (نيسان ١٩٩٤) وكان في نهايات مطلب (استعمال اللفظ في اكثر من معنى) وبعد ايام بدأ اول مطلب رئيسي وهو بحث المشتق الذي استمر ازيد من عام وقررّته في مجلدين وطبع لاحقاً، واستمر حضوري عندهقُدِّسَ سِرُّهُ حتى استشهاده في ذي القعدة (١٤١٩) وكان في مبحث

النواهي.

وفي (ذي الحجة ١٤١٥) بدات حضور بحث الفقه عند سماحة آية الله السيد السيستاني وكان يباحث في كتاب الصوم حتى انهاه ودخل في كتاب الزكاة وكنت مواضباً على الحضور حتى انقطاعه في صفر (١٤٢٠).

وحضرت سنتين (١٤١٦- ١٤١٨) بحث الفقه على كتاب المكاسب عند المرحوم الشهيد الميرزا علي الغروي قدس سره.

كما التحقت ببحث شيخنا الاستاذ الفياض (دام ظله الشريف) عندما بدأ في مبحث القطع (أي النصف الثاني من الاصول لاتمام ما بدأت به مع سيدنا الاستاذ الشهيد الصدر قدس سره من النصف الاول فتحصل دورة أصولية كاملة وبقيت معه اربع سنين (١٤١٧-١٤٢١).

درّستُ الفقه والاصول بجميع مراحل السطوح والمنطق والاخلاق والوعي الاجتماعي ولي محاضرات كثيرة في ذلك طبع بعضها حيث كنت استثمر بعض المناسبات الدينية وبداية ونهاية المواسم الدراسية لاعطاء مثل هذه المحاضرات.

لي عدة إجازات بالرواية احدها من السيد محمد كلانتر رحمه الله عن السيد السبزواري والسيد البهشتي وآغا بزرك الطهراني (قدست

اسرارهم) وثانيها عن العلامة الدكتور حسين علي محفوظ الذي له اكثر من سبعين طريقاً وثالثها عن السيد عبد الستار الحسني الذي له بعض الطرق النادرة. ورابعها عن الشيخ محمود الأرّكاني البهبهاني الذي له أكثر من (١٥٠) طريقاً من علماء الفريقين ومن مختلف البلدان.

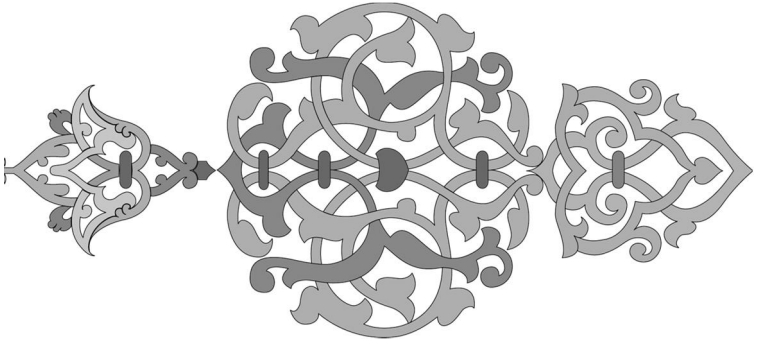

الفصل الثاني

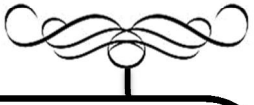

مع الوعي الإسلامي
بداية الالتحاق بالحركة الإسلامية
والعلاقة بالسيد الشهيد الصدر الثاني

بداية الالتحاق بالحركة الإسلامية

تصاعد الحس الحركي:

شهدت ستينيات القران الماضي نموا الوعي الاسلامي و الحركة الاسلامية كرد فعل على نشاط الايديولوجيات والحركات السياسية المناوئة للاسلام وكان لوجود مرجعية عاملة اجتماعية كالسيد محسن الحكيم قدس سره اثر بالغ في اعطائها زخماً فاعلاً، وكان لولده السيد مهدي زعامة ونفوذاً في بغداد.

وكان جيل الشباب متجاوباً معها ومتابعاً لها ورغم انني لم اكن محسوباً عليهم بالعمر فلم اكن بالغ الحلم يومئذ إلا ان صحبتي لأخي الشيخ علي الذي يكبرني بأكثر من عشر سنين الى ندوات الشباب واجتماعاتهم الدينية والمجالس الحسينية في الكرادة الشرقية الزاهرة يومئذ فتحت عيني على الكثير من الامور وفتقت ذهني بوقت مبكر وكان يتحفني بالكتب والمجلات والمصورات الدينية التي تناسب عمري كما شجعني على الانتماء للدروس الدينية خلال العطلة الصيفية التي كان يشرف عليها المرحوم السيد علي العلوي في منطقة العبيدي ببغداد فالتحق هو بحلقات الشباب

وانا بدروس الصبيان كان ذلك في بداية السبعينيات وبدأنا نحن بعقد الحلقات العلمية في الفقه والعقائد هو للشباب وانا للاطفال في جامع منطقة الفضيلية حيث كان والدي رحمه الله يقيم صلاة جماعة.

ثم تصاعد الحس الإسلامي لدى المجتمع العراقي في السبعينات وازداد وعيه لقضيته متأثراً بعاملين مهمين:

١. ظهور قيادة متحركة وشاعرة بداء المجتمع ودوائه متمثلة بشخص السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره والعلماء العاملين المجاهدين كالبصريين ونظرائهم.

٢. احداث الثورة الايرانية وما افرزته من فكر وعمل وكما نعلم فان العراق وايران كالجسد الواحد.

مع الشباب الواعي:

وفي النصف الثاني من السبعينات حيث التحقت بالدراسة الاعدادية في (الاعدادية الشرقية) في الكرادة والتي كانت تضم زهوراً من الشباب الواعي المتدين بدأت مسيرتي مستقلة حيث كان لي اقراني منهم (اعدم معظمهم في احداث سنتي (١٩٧٩، ١٩٨٠) ونمى مستواي الثقافي والفكري وانتقلت الى طائفة اعلى من الكتب الدينية وكانت كتب السيد ابي جعفر قدس سره والآصفي

وفضل الله وسيد قطب تستحوذ على اهتمامنا ومنها ايضاً موسوعة الامام المهدي عليه السلام حيث صدر الجزءان الثالث والرابع (اليوم الموعود وتاريخ ما بعد الظهور) في تلك الفترة الحاسمة ومن حينها عرفت السيد الصدر مفكراً اسلامياً كبيراً وقائداً اجتماعياً استوعب حياة المعصومين عليهم الصلاة والسلام وصاغها منهجاً مناسباً للأمة في حياتها الحاضرة.

قرات له في مجلة الايمان التي اصدرها والدي في الستينات اكثر من موضوع اعجبتني واستفدت منها أحدها وهو بعنوان (مسؤولية الدعوة في خير الامم) ومن حينها عشقت السيد الصدر واصبح اسمه يثير اهتمامي اينما وجدته فقد سمعت عنه مرة انه ناب عن السيد ابي جعفر قدس سره بالقاء كلمة في افتتاح مسجد السيد المبرقع في مدينة الثورة في ايام تأجّج الاحداث قبيل انتصار الثورة الايرانية.

انعزال السيد الصدر:

ثم تعرضت الحركة الاسلامية لهجمة وحشية خلال السنوات ١٩٧٩-١٩٨١ افقدتها جِلَّ رموزها وانزوى السيد الصدر الثاني قدس سره في داره لا يخرج الا لقضاء الحوائج الضرورية لبيته

وعائلته وازداد وضعه الامني سوءاً عندما حدث الاعتقال الجماعي لاسرة آل الحكيم عام ١٩٨٣ فقد كان دار احدهم (وهو المرحوم السيد جواد بن السيد محمد علي وقد اعدم فيما بعد) مجاوراً له فكان بعض افراد أمن النظام مرابطين هناك للمراقبة، فانعزل عن المجتمع بشكل كبير وانقطعت اخباره هذا كله وانا لم اتعرف عليه شخصياً رغم انه واباه واسرته من اصدقاء اسرتنا كسائر الاسر النجفية العريقة.

الالتحاق بالجامعة:

اما بالنسبة لي فقد التحقت عام (١٩٧٨) بقسم الهندسة المدنية في كلية الهندسة بجامعة بغداد وتوزع اخواني العاملون بينها وبين كلية الطب والصيدلة والجامعة التكنولوجية ثم مضى منهم من مضى شهيداً صابراً محتسباً وبقي من بقي، حتى تخرجت سنة (١٩٨٢)، (وفي نفس السنة توفي والدي رحمه الله وكان عليّ الالتحاق بالخدمة العسكرية التي رفضتها كما تقدم في صفحة ١٢فانزويت في البيت نهائياً وكان ذلك لمصلحتي فقد كان وقتي مكرساً لمطالعة الكتب في مختلف حقول المعرفة بما فيها العلوم الحوزوية حيث كانت مكتبة والدي عامرة بها وصقلت موهبتي في الكتابة

فبدأت بالتأليف ولكن من دون مرشدٍ او ناقد يأخذ بيدي ويوجهني ويقيّم نتاجي.

التوجه نحو النجف والتعرف على السيد الصدر:

وفي نيسان (١٩٨٥) اضطرتني الظروف الى ترك دارنا في بغداد فيمّمت النجف وحللت دار عمي الشيخ صادق ومكثت فيها مدة بنفس المنهج السابق وخشية ظهور امري كنت انتقل منهم الى دور بعض اقربائنا في كربلاء والحلة واعود اليهم وكان ابن عمي الشيخ حيدر يلازمني في بيتهم ويزورني في الاماكن الاخرى فكنت اغذيه بخلاصة ما يجتمع لدّي من افكار ومعلومات وعلم بما عندي من بحوث وكتابات فعرض عليّ فكرة الاستفادة من السيد الصدر في تقييمها وتوجيهي فكرياً وهي فرصة لم اكن احلم بها وجرى الاتفاق على ان يتم الاتصال به بواسطة صديق للشيخ حيدر هو الأخ زيد نجل الحاج عبد الغني البغدادي الذي كانت دارهم ملاصقة من الخلف لدار السيد الشهيدقدس سره وبينهما باب يستعملونه للضرورة بعد ان كانت الباب الامامية لدار السيدقدس سره مراقبة وكان زيد شديد المحبة والولاء للسيدقدس سره وعن طريق هذا الباب فرّ أخ لزيد بعد ان اقتحمت قوات الامن دارهم لاعتقاله

فاجتاز من بيت السيد الشهيدقدس سره الى الخارج ونجا بنفسه، ولزيد أخت مؤمنة مثقفة مجاهدة تسمى (ساجدة) استفادت من السيدقدس سره كثيراً ولم يقصّر هو في توجيهها وتوعيتها ورعايتها، اعتقلت مدة ثم افرج عنها لسوء حالتها الصحية حتى توفيت رحمة الله عليها، وقد تمت موافقة جميع الاطراف على هذه الطريقة من مبادلة الافكار بيني وبين السيدقدس سره حيث ياتي زيد الى بيت عمي ليأخذ ما اعددت له ويوصلها الى السيدقدس سره بيده او بيد اخته الى عائلة السيد ثم يرجع الجواب اليّ بنفس الطريقة وبدأ اللقاء بيننا لآول مرة عبر الاوراق في ذي القعدة (١٤٠٥) (صيف عام١٩٨٥) وكانت نقطة تحول في حياتي وبداية لسيل من البركات والرحمات ولم يكن احد منا يعلم ان هذا اللقاء سيثمر فيما بعد شركة واتحاداً للنهوض بهذا المجتمع وللأخذ بيده نحو الهداية والصلاح ولطرح ايديولوجية جديدة للمرجعية وقيادة الامة.

منهج الحوزة الشريفة والعلماء السلف:

واول بحث قدمته اليه كان حول (ثبوت الهلال في البلدان المختلفة) وناقشت الاقوال في المسألة وكنت ولعاً بالفقه الاستدلالي وقرأت فيه وفي علم الاصول كتباً متعددة ودعمت

أخيراً الراي العلمي بان ثبوته في بلد كافٍ لثبوته في البلدان التي الى غربه دون التي الى شرقه (ولم اطلع يومئذ على رأيه المختار في المسألة وهو هذا بعينه بل لم اكن اعرف يومئذ انه مجتهد مرشح للمرجعية) ثم قدمت له افكاراً في تحديث الحوزة العلمية وتطويرها وكان فيها شيء من الجرأة والخروج عن الموروث فجاء في جوابه (وليت شعري فكل محاولة لانزال الشريعة الى مستوى الواقع ليست بصحيحة لان مضمونها الحقيقي هو اعطاء الشريعة جزءاً من فساد الواقع وانما الصحيح هو رفع الواقع الى مستوى الشريعة وهذا هو الذي يستهدفه الله تعالى في بشريته ومعناه اعطاء الواقع جزءاً من كمال الشريعة وعدلها بل كل كمالها وعدلها) وقال في موضع آخر (ان مسلك علمائنا واسلافنا (قدس الله اسرارهم) على وجه العموم مهما كانت فيه من المناقشات الجانبية فانه قد أسس وتعب عليه آلاف المفكرين وضحى في سبيله الآلاف من الشهداء والصالحين من اجل حفظ الاسلام والايمان وتفاصيل الشريعة والعقيدة مضافاً الى امكان نشرها وتوسيعها جهد الامكان. وقد اثبت ذلك المسلك جدارته ورجاحته خلال الالف سنة الماضية واثبت انه كفيل ـ بعناية الله سبحانه ـ ان يقوم بمهمته خير قيام بالرغم مما يدهم المسلمين والمؤمنين في كل زمان من البلاء

والمؤامرات والمصاعب، وان ادل دليل على نجاحه هو بقاء الدين بتفاصيله العملية والمهمة حياً قائماً في اذهان الكثيرين من دون ريب ولا نقص وهذا مصداق لقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ مع العلم ان الافكار المعادية مما هو مبرمج ومدَّقق اكثر مما يعد ويحصى إلا ان الدين لا يزداد إلا عمقاً ورجاحة.

فاذا كان هذا ناتجاً من المسلك العام لعلمائنا ومفكرينا فينبغي على الفرد ان يعيد النظر اكثر من مرة اذا اراد ان يغير ذلك المنهج او يفرع عليه او يناقش فيه إذ قد تؤدي المناقشة من حيث لا يعلم الفرد الى نتائج على خلاف النتائج التي جناها المسلك السابق الذي اصبح هدفاً للمناقشة فنكون مثل ذلك الغراب الذي حاول ان يقلد مشية الطاووس فلم يفلح فاراد ان يرجع الى مشية نفسه فوجد انه قد نسيها فخسر كلتا المشيتين.

وهذا لا يعني بحال ان المناقشات لا يمكن سماعها او ان المسلك السابق غير قابل للتعديل ولكن ينبغي ان ناخذ عبرة ممن سبق ممن حاول ان يناقش ويجدد كالشيخ محمد عبدة وابي الاعلى المودودي، فمع احترامي لافكارهم الا انه لم يبق منهم الا ما كان ضمن الخط العام لعلماء المسلمين واما التفاصيل التي جددوها فهي متقوقعة في منطقة او منسية او مجهولة او تكاد ان

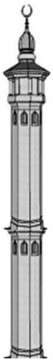

تندثر وانما التجديد المحتمل بقاؤه والمحرز صحته هو ان يبقى اتجاهه صامداً لفترة طويلة وماراً بالتمحيص ضمن مئات او آلاف من الافكار والمفكرين في اكثر من جيل او عدة اجيال فيكون (اللب) المسلّم صحته في هذا الاتجاه صحيحاً واما التفاصيل فتبقى ـ رغم ذلك ـ قابلة للمناقشة).

واستمرت المراسلات وكان بعضها يتخذ شكل الاسئلة المتفرقة التي لا يجمعها علم واحد فكان يجيب على الجانب (المفهومي) لها ـ كما كان يعبر ـ أي الفكري اما الجانب العلمي التخصصي فموكول الى محله بعد تناول تلك العلوم في الحوزة الشريفة ولا تكفي الاسطر لحل معضلاتها.

التركيز على الجانب الحركي:

ومن هنا بدأت المرحة الثانية من اتجاهات التفكير فبعد ان كانت في المرحلة الاولى متشتتة اصبحت مركزة على الجانب الحركي الواعي للاسلام والاصلاح الاجتماعي فكتبت (دليل سلوك المؤمن) ادعو فيه الى ان تكون الرسائل العملية (حيّة) تعالج كل القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فضلاً عن العبادية وان تخاطب العقل والروح والنفس بدلاً من وضعها الجامد الحالي

وان تعرض الفقه الشامل لكل نواحي الحياة مستعرضاً المراحل التاريخية لتفكير فقهاء المسلمين وتاثرهم بالظروف التي احاطت بهم ثم عرضت نموذجاً لتبويب الرسائل العملية لتغطي هذا الهدف كله، فاجابني بعد السلام والتحية (قبل أي شيء ينبغي ان اؤدي اليك جزيل الشكر للفضل الذي تسديه اليّ بهذه الكتابات النافعة التي ترسلها اليّ وذلك لعدة امور:

منها: انها تملأ قسماً من وقتي الذي جعله (الليل) فارغاً او يكاد.

ومنها: انها جعلتني افكر بما هو منتج ونافع في سبيل الله بعد ان كنت اسقطت ظاهرياً مجرد التفكير في ذلك الى حين طلوع الفجر.

ومنها: انها جعلت لي السرور بالطعوم اللذيذة التي تمر في ذهني والتي كنت قد حرمت منها ردحاً من الزمن.

ومنها: انها عرفتني ان العالم لم ولن يخلو من الخير مهما شاءت شهب الليل ﴿ولو كره المشركون﴾ ليس انت فقط بل آخرين وآخرين والحمد لله رب العالمين).

وكان من ضمن تعليقاته قوله (لعل المفهوم من مقالكم ــ بشكل وآخر ــ ان تحثّوا هذا الضعيف الجاهل على المبادرة الى

الفقه الواسع الذي تريدون[1]، وليتني كنت من القادرين، بل عساني استوعب حقلاً من حقوله فضلاً عن المجموع، وبغضّ النظر عما يعلمه الله تعالى في سابق علمه وهو بكل شيء عليم. وبغض النظر عن الايمان المسبق بكل هذا المضمون بعمق كما اوضحنا، الا ان هناك نقاط ضعف عديدة تحول دون هذه المبادرة نذكر ما تيسر منها:

اولاً: انه لا دليل على بقاء هذا الضعيف حياً الى حين انجاز مثل هذا المشروع فضلاً عن اطلاع الناس عليه، الامر الذي يجعله ـ بعد موته ـ ساقطاً عن المنفعة تقريباً لانه من تقليد الميت.

ثانياً: انه لا دليل على انحسار الليل وطلوع الفجر بحيث يمكن مجرد التفكير في ذلك ولله في خلقه شؤون) ثم ذكر نقطتين أخريين.

الجاهلية في المفهوم القرآني:

ثم كتبت بحثاً آخر انضج منه واوسع بعنوان (الجاهلية الحديثة واسلوب مواجهتها) أخذ بنظر الاعتبار مفردات البحث السابق مع تعليقات السيدقدس سره عليها وانطلق منها ليضع العلاجات

(١) أي وفق الاطروحة التي قدمتها لهقدس سره.

المناسبة للجاهلية التي نعيش فان الجاهلية[1] بحسب المفهوم القرآني كل حالة اجتماعية لا تقيم حكم الله سبحانه ولا تطبق شريعته ﴿افحكم الجاهلية يبغون﴾ بل ان الجاهلية التي نعيشها اسوء حالاً واردأمن تلك التي بعث رسول الله صلى الله عليه وآله ليستنقذهم منها فمن الحري بنا ان نستلهم الرسالة ونأخذ من الرسول دروساً لمعالجتها مع الأخذ بنظر الاعتبار ان هذا المجتمع مسلم ظاهراً وليس مشركاً فاجابني بعد الحمد والثناء على الله سبحانه والصلاة على انبيائه والسلام على المؤمنين قائلاً (أخي في الله سبحانه ووليي فيه عز وجل. أدام الله توفيقاته عليك كما تحب ويحب وجنبك سوء الفتن وشرور طوارق الليل والنهار واتم نورك وزادك بسطة في العلم وجدارة في العمل انه ولي كل توفيق.

مولاي: عندما انقطعت رسائلك بل بحوثك وافاداتك فكرت قليلاً ثم أرجعتها الى بدء العام الدراسي[2] الذي يشغل ولا يمهل. وبخاصة بعد ان كان الهدف منه شرعياً يقصد به ما انت أعرف به

(١) شُرحت بعض هذه الافكار فيما بعد في كتاب (شكوى القرآن).

(٢) لم يكن قدس سره آنذاك يعلم شيئاً تفصيلياً عن المرسل وقد انقطعت الرسائل فترة لظروف اعاقت استمرارها، وربما كان الى ذلك الحين يظن ان المرسل هو نفس الواسطة أي زيد البغدادي.

من تقليل الظلم وبث العدل وقضاء حاجة المحتاجين والعطف على المنكوبين ـ اينما صار الفرد وحيث حصل ـ .

ولكن ورود افاداتك من جديد ـ وهي وفيرة كماً وكيفاً ـ دلني على ان الرجل الهادف يستحيل ان يتخلى عن هدفه او ينساه او يتغافل عنه حتى ولو في احلك ظلمات الدنيا ودهاليزها وبلاياها، هذا ولكن ـ يا حبيبي ـ ينبغي ان تجعل للتقية في فكرك مجالاً فانها حصن المؤمن والجنة الواقية له من كل مكروه، فان مثل هذه البحوث كانت متداولة في الستينات حين كان النسيم وافراً والحُّر متحملاً. واما الآن فنحن لعلنا اولى من الامام الحسن المجتبى عليه السلام بالتقية والهدنة وان لم نكن اولى فمثله، فاننا أضعف ناصراً واقل عدداً).

التربية الإيمانية في ظلمات الدنيا:

ثم اجاب عن بعض العواطف المتبادلة وقلّل من اهمية الذات وحذّرمن الوقوع في عبادتها وانما ينبغي ان ينظر الى كل شيء على انه فانٍ في الله سبحانه قال (ولست انا هدفاً بأي شكل من الاشكال، وإلا فساصبح صنماً يدعي الناس انني اقربهم الى الله زلفى) وقال (واما الفجر الذي تشير اليه في رسالتك والذي اود ان

افهم منه المعنى المعنوي فهو الفجر الذي يشرق في النفس والضمير قبل ان يشرق على المجتمع، والله سبحانه أخبر بعباده، ومن المؤكد ان التربية الايمانية في ظلمات الدنيا وصعوباتها أقوى واوكد وارسخ من التربية مع الدلال والترفيه وهل تطبيق الاحكام الاجتماعية العامة بين الناس إلا لطاعة الله، فاذا توفرت طاعته تحت ظروف الظلمات، بل بشكل الطف واوكد فذلك هو المطلوب) ثم بدأ بالتعليقات على اصل البحث.

التواصل عبر المراسلات:

ثم أرسلت بحثاً كتبته بعنوان (عالم الذر والظواهر الباراسايكولوجية) وهو مختصر نسبياً لا يتجاوز ثلاث صفحات الا انه قدس سره كتب الاجابة في (١٣) صفحة مما ينبئ عن سروره ولذته في الخوض بما وراء المادة.

وتوالت المراسلات وكان منها كتاب في مئتي صفحة تقريباً بعنوان (دور الائمة في الحياة الاسلامية) وهو تعميق وتوسيع لبحث من بضع صفحات بنفس العنوان نشره السيد ابو جعفر قدس سره في مجلة الايمان فعلق عليه تعليقات ثمينة وكتب له مقدمة مختصرة تمنى فيها نشره.

وكتب هو قدس سره بحثاً بعنوان (فلسفة الاحداث في العالم المعاصر) يناهز الاربعين صفحة وضع فيه النقاط على الحروف في ما يجري في عالم اليوم والاصابع التي تديره ــ وهي الصهيونية الخبيثة ــ ونفوذهم في مجتمعاتنا والافكار الهدامة التي يبثونها فينا والممارسات التي ينشرونها بيننا ونحن ساذجون سادرون في جهلنا فكان قدس سره الطبيب الحاذق بادواء مجتمعه، وقد ارسل البحث اليّ للاستفادة منه والتعليق عليه فبعثت اليه بذلك فاعاد هو قدس سره التعليق عليها مع اضافات الى اصل البحث واستمرت التعليقات المتبادلة وفي النهاية أوكل امر إعداد الكتاب بشكله النهائي اليَّ آخذاً بنظر الاعتبار جميع هذه الملاحظات المشتركة.

ورغب مرة في ان اعرض وجهة نظري عن الحرب مع ايران وصواب الرأي باستمرارها بعد ان اتضح انها لا طائل من ورائها سوى انهاء البلدين الشيعيين بشرياً واقتصادياً فكتبت (نظرات في الحرب والثورة) حيث رايت من الضروري العودة الى أصل الثورة وفلسفة اعلانها كمقدمة لمعرفة اهداف الحرب وماذا يراد منها والنتائج التي تمخضت عنها وكنت متحمساً لاستمرار الحرب أملاً بتحقيق النصر النهائي واردد كلمة القادة الايرانيين (السلم المفروض اسوأ من الحرب المفروضة) وكان هو يرى خلاف ذلك

ليأسه من تحقيق ذلك الهدف فالاحجى هو الابقاء على ثروات البلدين وعدم اتلاف المزيد.

الشوق الى التكامل:

بعد هذا الاتجاه من التفكير بدات المرحلة الثالثة التي اتخذت منحى آخر يختلف تماماً عن سابقه فقد حركت بعض كلماته قدس سره في نفسي الشوق الى التكامل والسمو والسير في طريق تهذيب النفس. وقد كانت فترة عزلتي في البيت اعطتني دفعة في هذا الاتجاه فقد سكب الله تعالى عليَّ من الطمأنينة والسرور والهدوء ما يفتقر اليه المجتمع حولي للظروف العصيبة التي كانت تعصف به والكوارث التي حلت به بسبب الحرب، وشجعني قدس سره كثيراً في هذا الاتجاه فانه الهدف الاسمى وغاية الغايات.

وزادت تعليقاته وتوجيهاته على مقدار ما كنت ابعث اليه من صحائف وقد شحنت بالعواطف الجياشة لانه يرى ان السائر في هذا الطريق يحتاج الى صدر دافئ يحتضنه وبدأ اهتمامه بي يزداد وشوقه الى رسائلي يتاكد فقال في بعضها (عجباً لهذه العلاقة القلبية التي تجعلني انتظر رسائلك بفارغ الصبر) وكان شديد الكتمان لا يكتب الا ما يراه مناسباً فان اعطاء ازيد من الاستحاق ظلم كما ان

اعطاء الاقل ظلم هذا رغم ايمانه بان (التربية المعنوية لا تؤدى بالكتابة وانما عن طريق اللقاء الشخصي والكلام وانما يكون ذلك بالتدريج البطيء حسب قابلية المتكلم والسامع، وهذا مما لا يتيسر فعلاً مع شديد الاسف ومع ذلك فاني سأكتب شيئاً مما لا اظنه يثقل عليك شخصياً).

ترجمة السيد الشهيد لنفسه:

وفي الرسالة الثانية طلبت منه في ضمن ما كتبت ان يترجم نفسه فكتب بعد الشعور بالخجل من الاهتمام بنفسه: (ولدت في السابع عشر من ربيع الأول (يوم مولد النبي صلى الله عليه وآله عام (١٣٦٢هـ) الموافق (٢٣ آذار ١٩٤٣)، لبست الزي الديني عام (١٣٧٣ هـ) ودخلت كلية الفقه عام (١٩٥٧) بقيت فيها خمس سنوات بعد امتحان قبول اجراه لي عميد جمعية منتدى النشر يومئذ الشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله.

درست السطوح قبل دخول كلية الفقه وبعدها على يد عدة اشخاص اهمهم والدي رحمه الله والسيد الصدر قدس سره والسيد محمد تقي الحكيم حفظه الله والشيخ صدرا البادكوبي قدس سره.

درست الدروس الاستدلالية (الخارج) في الاصول عند كل

من آية الله الصدر وآية الله الخوئي، وفي الفقه عند كل من آية الله الصدر وآية الله الحكيم (لفترة محدودة) وآية الله (...) الذي لا يفوتك تذكره ـ يعني السيد الخميني قدس سره ـ

لي اجازات (رواية) عن المعصومين عليهم السلام عن جماعة أُعدد لك من اتذكر منهم: والدي، السيد حسن الخرسان، السيد عبد الرزاق المقرم، الدكتور حسين محفوظ، السيد آغا حسين خادمي، ولم يحصل اني اجزت احداً الى حد الان. واعلى اجازاتي في الرواية هو ما صدر عن الشيخ آغا بزرك الطهراني صاحب الذريعة قدس سره وهو يروي بالمباشرة عن السيد حسن الصدر صاحب التكملة والشيخ النوري صاحب المستدرك وهما لهما اسانيد مفصلة وعالية عن المعصومين عليهم السلام.

واما اجازات الاجتهاد فانا ـ بصراحة ـ لم احصل على واحدة منها ولم احاول ذلك اصلاً. ولكني اعتقد الآن باجتهاد نفسي نتيجة لخبرات وتجارب معينة مررت بها، وهو مدعم بظاهر كلام (السيد)[1] في أواخر ايامه.

(١، ٢، ٣) يعني السيد الشهيد الصدر الاول قدس سره ولم نكن نستطيع التصريح بالاسماء المخالفة للتقية خشية وقوع الاوراق في أيدي جلاوزة أمن النظام وقد كنّا نستعمل بعض المصطلحات ونضعها بين اقواس للاشارة الى معانيها

لم اشارك في (عمل)[1] معين سوى اتباع (السيد) في كل ما يفعل ويقول وكان هو قدس سره ينصحني باتخاذ مسلك (العلماء) دون مسلك آخر، وبقيت افكر بنفس هذا الاتجاه العام وصدرت مؤلفاتي على غراره الى ان التفتُّ بتوفيق الله سبحانه الى عيوب نفسي وقلبي وضرورة التكامل من هذه الناحية وقد كان الالتفات في زمن السيد نفسه وقد احتجَّ عليَّ في حينه الكثيرون من الفضلاء (الواعين)[2] حتى ان احدهم طلب مني المباهلة فأبيت بطبيعة الحال، ولعل الوحيد الذي كان يحترم مسلكي ويفهمه الى حد محترم هو (السيد) نفسه فجزاه الله خير جزاء المحسنين).

إشكالية التحزب في الحركات الإسلامية:

وفي ختام الرسالة التي استغرقت (٢١) صفحة قال (واني قد دعوت لك بالخير واسأل الله سبحانه القبول وقلبي معك لا فرّق الله

الخاصة لقساوة الظروف وخشية وقوع الاوراق في ايد معادية، فـ(عمل) أي عمل جهادي و(واعين) أي علماء مجاهدين حركيين. وقد مر لفظ (الليل) الذي يعني زمن سيطرة الظلم ويقابله (الفجر) الذي يعني انحساره باذن الله تعالى.

بين قلبينا كما فرّق بين بدنينا وجمعنا واياكم في مستقر رحمته ورفيع عظمته انه على كل شيء قدير) وعندما سألته في رسالة لاحقة عن سبب عدم المشاركة في أي عمل قال (اول ما عرض عليّ الامر وجدت ان (الحياة الحزبية) تجر المجتمع الى التناحر بين الاحزاب هؤلاء يقولون نحن واولئك يقولون نحن، الامر الذي بقي المجتمع ينوء تحت ثقله سنين طويلة وعشنا فيه تجارب مريرة، ومن الصحيح كما قالوا ان هذا الاتجاه يطمس ـ او يكاد ـ الانانية الفردية الا انه يؤكد الانانية الجماعية والحزبية. وهذا ضروري الثبوت في النفوس الناقصة والتي لم يتم تطهيرها وتهذيبها بعد.

والامر الآخر الاكتفاء بعطاء السيد نفسه فان عطاءه كان يمثل القمة في هذا الطريق ومن المنطقي ان اكتفي بالقمة عما دونها) ثم ذكر اموراً اخرى.

وفي رسالة اخرى قال ان السيد قال لي ـ بالمضمون ـ اتخذ مسلك العلماء المستقلين[1] فان الناس يحتاجون الى العلماء المستقلين كما يحتاجون الى العلماء (العاملين).

(١) أي الذين يتفرغون للجهد العلمي ولا ينشغلون بالعمل الاجتماعي.

التفسير المعنوي لآيات القرآن الكريم:

وكان مما يثير اهتمامي في كلامه قدس سره التفسير (المعنوي) للآيات والروايات الشريفة مما تستغرب غفلتك عنه رغم قربه بل لعلك تحس انه هو المعنى الوحيد فمن (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) يستنبط مطلوبية التسمية على كل اكل ومن (سؤر المؤمن شفاء) يفهم اثره المعنوي على النفس من خلال كلامه وافعاله ونظراته وغيرها فانها شفاء حتماً و(لا تطأون موطئاً يغيظ الكفار) النفس الامارة بالسوء فانها اعدى اعدائك وعدوك الذي بين جنبيك فلك في كل مخالفة لها اجر ولو بتأخير وجبة طعام او شربة ماء او حكة رأس ـ كما يعبّر ـ).

ومن كلماته (ان اولئك الذين يحسبون انهم يحسنون صنعاً) هم الذين (يقدمّون) طاعاتهم ويؤكدون عليها ويتوقعون عليها حسن الجزاء بل منهم من يمن بها على الله سبحانه وعلى المعصومين ايضاً وهذا من اشد الاجرام في النظر (الخاصي) اعاذنا الله منه وقد رأيت منهم نماذج عديدة من كسبة ورجال دين وغيرهم.

واما (الندم) فهو للمؤمن لا للكافر، ان الكافر سوف يلهو بآلامه المبرحة في النار، واما المؤمن فسيعضُّ على شفته ندماً من

انه قضى حياته الدنيا (وهي بيت الطاعة) يطفّر كالقبّرة ولم ينل الا هذا المقدار من الثواب، ان ما ناله مهما كان ضخماً وعظيماً فانه مثل قشةٍ تجاه الدنيا وما فيها ازاء ما يرى من مقامات الاولياء.

وهذه المقامات تعرض عليه قليلاً ليعرف المؤمن ما فوته على نفسه ثم تخفى لقلة تحمله في النظر اليها).

مسلك رجال الدين والالتفات الى عيوب النفس:

ذكرت له الرين على القلوب فقال بهذه المناسبة (حبيبي: احمد الله سبحانه على مصائب مررت بها انا شخصياً لم يسبق لك المرور... تلك المصائب التي تضاعف الرين... الامر الذي يكون زواله اصعب الا ان يشاء ربي شيئاً، وتلك عدة امور اشير الى بعضها:

منها: اندراجي ضمن رجال الدين، ليس لانهم رجال دين اقصد ليس الاسف من اجل ذلك بل من اجل انني ساكتسب منهم (الشمخرة) والتعالي ومن ثم الاستكبار والفرعنة التي هي العدو اللدود في السلوك الصالح.

ومنها: اندراجي في الحوزة العلمية.. لا من اجل ذلك بمجرده ايضاً.. بل من اجل ايحائه بالكفاية العلمية والقدرة الفكرية والرضا عن المستوى الذي وصل او يمكن ان يصل اليه، في حين

سمعنا قول الامام الحسين عليه السلام «وانا الجهول في علمي فكيف لا اكون جهولاً في جهلي».

ومنها: التفاتي الى امراضي المعنوية وضرورة مداواتها في وقت متأخر نسبياً، بل هو متأخر على كل حال. ومن النعم العظيمة على الفرد ان يبدأ سلوكه الصالح الحقيقي في العمر الاصغر والسن الاقل. فانه يكون له عدة مميزات: قلة الذنوب، قلة الرين، زيادة فرصة الطاعات، زيادة فرصة الجهاد الاكبر وما بعده، قوة الارادة عند الشاب وضعفها عند الشيخ وكلما تقدم العمر).

الامتنان لمن دلني على طريق المعرفة الإلهية:

وعندما ذكرت له امتناني له على هذه الرعاية والتربية علّق بقوله (وانا بدوري ممتن لمن صار هو طريقي الى الهداية والحقيقة، فان الذي قام بتربيتي عدد من الناس اهمهم اثنان هما خير الخلق في اختصاصهم، ولا اعرف احداً غيري اجتمعت لديه هذه النعمة، احدهما السيد الصدر قدس سره الذي كان خير الخلق في (علمه) الظاهري. وثانيهما شخص آخر كان خير الخلق ـ حسب اطلاعي ـ في مراتب اليقين واقصد بخير الخلق: من هو موجود في هذا الجيل طبعاً عدا الامام عليه السلام وكلا هذين لن انساهما طيلة حياتي بل ارجو

شفاعة هذا الاخير بعد وفاتي). وكان ينقل بعض الكرامات التي تعبر عن مفاخر الاولياء الموقنين كمعرفة دخول الفجر ومعرفة المتوضئ من المحدث والسيد من العامي ونور الوجه من ظلماته ورؤية الموتى والاعتبار بهم او الاستفادة منهم ان كانوا عظماء وسماع تسبيح الملائكة.

أهداف السائرين الى اللّه تعالى:

ويقول ان اهداف السائر في هذا الطريق ليس تحصيل هذه الكرامات مهما عظم شأنها وانما هي من النتائج التي يمن بها الله سبحانه بحسب سعة رحمته وفضله وانما الاهداف المهمة هي رضا الله سبحانه وتعالى والتوحيد الخالص وولاية اهل البيت والحصول على القلب السليم، القلب الذي يشعر بكربة عندما يهم او يفعل (معصية) بالمعنى المناسب لمستواه وقال ان اول خطوة في هذا الطريق هو الالتفات الى عيوب النفس فينشغل الفرد عن النظر الى عيوب الآخرين.

مقامقات السائرين وأحوالهم:

وتكلم عن (احوال) و(مقامات) السائرين الى الله سبحانه وذكر بالمناسبة قصة طريفة (ان احد الخطباء ــ واظن جداً انه

الشيخ[1] الجد اليعقوبي قدس سره ـ كان خطيباً عند الشيخ النائيني قدس سره فكان كلما نزل عن المنبر قال له الناس: طيب الله انفاسك واحسنت، وقال له الشيخ النائيني غفر الله لك، فقال له بعد عدة ايام عن ذلك. فقال ما مضمونه: انك تنسب اموراً كثيرة الى اهل البيت عليهم السلام منها القطعي ومنها المظنون ومنها المحتمل ومنها الموهوم فاستغفاري لك انما كان لذلك، فاجاب الشيخ اليعقوبي قدس سره بما مضمونه: انه لو قلت في خطابتي ان هذا مظنون وهذا محتمل وهذا موهوم لما بكى احد.

ان (حال) الشيخ اليعقوبي هو حال: من بكى وابكى او تباكى وجبت له الجنة، واما (حال) الشيخ النائيني فهو انه ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد، ولا يجوز نسبة شيء الى اهل البيت عليهم السلام بدون (حجة) كاملة، ان كليهما معذور ومأجور امام الله سبحانه ان شاء الله سبحانه).

بركة التعرف على الشهيد الصدر:

وفي الرسالة الرابعة التي تزامنت مع ذكرى مرور سنة على بداية المراسلة ومع عودتي الى دارنا في بغداد بعد غياب دام سنة

(١) أي جدي المرحوم الشيخ محمد علي اليعقوبي.

وثلاثة اشهر حيث توفرت لي فرصة اكبر للاستقرار ولمتابعة المنهج مع السيدقدس سره وعدت بالذكريات خلال هذه السنة وحجم النقلة التي شهدتها عقلياً وقلبياً ونفسياً ويكفي للتعرف على ذلك المقارنة بين اول رسالة وآخرها فشكرت الله سبحانه على هذه النعم وعلى توفير هذه الفرصة وفتح هذا الباب (باب السيد الشهيد الصدرقدس سره الذي غمر بعدئذ المجتمع كله بالبركات وكان يوصي في الجانب العملي بكثرة السجود والبكاء اما خوفاً من الله سبحانه أي اسفاً من الذنوب والعيوب وشوقاً الى السلامة منها واما حزناً على مصائب الامام الحسين عليه السلام الذي هو (رحمة الله الواسعة وباب نجاة الامة)، ويقول في الجانب القلبي (ان من كانت طاعاته قلبية تكون ذنوبه قلبية ايضاً ويحاسب على الخطرات وتكون كربته منها شديدة حتى ياذن الله بالفرج ويجعل الله لعبده فرجاً ومخرجاً، ولعل في الطاعات العملية والقلبية المشار اليها ما يخفف من حدة ذلك او يزيله ولو نسبياً باذن الله تعالى).

من قصص السيد الشهيد الصدر:

ويروي في هذا الصدد قصتين حصلتا له:

(**الاولى:** انه حينما قبض عليّ الظالمون في عام (١٩٧٤م) واستمر ذلك خمسة عشر يوماً، مررت بمحنة في داخل السجن وبمحنة بعد اطلاق سراحي، فكان (رد الفعل) بفضل الله سبحانه: ان ذهبت الى الحرم الشريف وتنازلت هناك ـ في سري طبعاً ـ عن كل (مميزاتي) الدنيوية: علمي وشأني الاجتماعي واهمية اموالي واسرتي ونحوه ولكنني احسست بعد فترة انني لم افعل شيئاً على الاطلاق لانه (وهب الامير ما لا يملك) كما يقول المثل، بل ان هذا (التنازل) اقرب للذنب منه الى الطاعة.

الثانية: انني يوماً فتحت القرآن الكريم لاجد فيه منزلتي امام الله سبحانه او قل ـ بالتعبير الدنيوي ـ (رأي) الله فيَّ فخرجت هذه الاية من سورة الكهف: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً﴾ ان كل هذه الآية مفهومة لي بحسب حالي يومئذ الا قصة (الكهف) الذي يكون من المطلوب ان آوي اليه، أي كهف هذا؟ وذهبت إلى الحرم العلوي على ساكنها السلام عسى ان ينفتح لي هناك عن هذا المعنى وبدات بزيارة (امين الله) حتى وصلت إلى

قوله عليه السلام: اللهم فاجعل نفسي مطمئنة بقدرك راضية بقضائك إلى قوله: يا كريم، وقد حصل لي في تلك اللحظة (حدس) قوي بان الكهف الذي يجب ان ادخله هو هذا. أي ان تصبح نفسي على هذه الاوصاف وتجانب ما سواها. وقد عرضت ذلك على (مولاي)[1] فأقره وقال بصحته). وقد طلب ان لا ارويها عنه الا بعد ان يصلك نعيي ـ كما قال ـ

وفي هذه الرسالة كتب بعض شعره ومنه قصيدة في الحث على السير الحقيقي الى الله سبحانه نظمها بتاريخ (١٤٠٣/٢/٢٢) عدد ابياتها (٦٢) مطلعها:

دع الامانيَّ وابدأ دربك الرحبا فليس شيء على هذا الطريق كبا

ويوجد نص القصيدة موجوداً ضمن رسائله قدس سره عندي.

ومما جاء فيها شرح لموقفه مع حركة السيد ابي جعفر قدس سره وتقييمه لها وكتب في ذلك حوالي ثلاث صفحات، وقال انه كتب رسالة في حوالي ثمانين صفحة عنوانها (السيد الصدر كما اعرفه) بناء على طلب من المرحوم السيد حسن القبانجي وقد ظل الاخير محتفظاً بها.

(١) يقصد المرحوم الحاج عبد الزهراء الگرعاوي.

حينما يغمرنا الصدق مع الله تعالى:

واستمرت المراسلات وكان لها محوران رئيسيان هما: الجهاد الاكبر والجهاد الاصغر في حدود الظروف التي كنا نعيشها وكانت عواطفه الجياشة تغمرني وكانت ازيد من استحقاقي ولكن طيبة قلبه وحسن ظنه كان يدفعه الى ذلك وهو صادق فيما يقول فقد صلى ذات مرة ركعتين استغفاراً لقوله (مشتاقين) لاحد الاخوة المؤمنين وقد التقى به بعد مدة فراق وهي كلمة تقال ويمكن ان يكون لها محامل عديدة الا انه خشي الا يكون صادقاً في كلامه، وتوالت تربيته العملية والقلبية وشرح وايضاح مفردات المنهج والتدقيق في مراقبة النفس فنقل عن بعض كتب الشيخ السبزواري: (ان الفرد قد يشعر انه بين يدي الله عز وجل فلا يمد رجله تأدباً امامه تبارك وتعالى فانه اعظم الناظرين).

حوادث ما بعد ١٩٨٧م:

وفي الرسالة المؤرخة (١٩٨٧/٦/٣٠) اعلمته برغبتي في قطع المراسلة لموانع داخلية وخارجية وقد احترم قدس سره رأيي وقناعتي الا انه رغب بالتواصل ولو في السنة مرة معللاً ذلك بقوله قدس سره: فان رؤية المؤمن ومحادثته ومراسلته تضفي نوراً على القلب بل ان مجرد تذكر اسمه له اثر ايضاً.

وفي شهر آذار (١٩٨٨) انتقلت بسكني الى النجف واعرضت عن بغداد فصارت لي حرية اكثر في الحركة وكذا هو بعد ان خفَّ الضغط الخارجي واتضح اكثر بعد توقف الحرب مع ايران وصرنا نتلاقى في المناسبات الاجتماعية او في الشارع العام واحياناً ازوره قدس سره في داره.

وتزوجت في نهاية عام (١٩٨٨) وبدأت حياة الكسب والعمل اما هو فقد عاد لممارسة دوره في الحياة الحوزوية والاجتماعية وبدأ يدرس سطح الكفاية في جامعة النجف الدينية على امل ان تكون حلقة الدرس نواة البحث الخارج الذي يعقده بعدئذ وأتم الجزء الاول من الكفاية ثم اعاقته احداث عام (١٩٩١) وتفرقت حلقته وهم ثلاثة طلبة او اثنان فاعتقل الشيخ طالب الخليل اللبناني ولم يعلم مصيره وهرب السيد عماد نجل السيد محمد كلانتر الى خارج العراق ولم اكن اعرفهما شخصياً لكني سمعت هذا الكلام منه.

وفي هذه المرحلة بدأ بتاليف كتاب (ما وراء الفقه) حيث عرض عليَّ فكرته وطلب مني المساعدة فيما يتعلق بالعلوم الاكاديمية كالرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلك وكان يعرض مسودات كتابه لادققها له وفي حينه نشأت فكرة بحث (الرياضيات

والفقه) فكتبته له وظل المخطوط عنده الى ان طبعه باسمي بعد سنين عديدة، وربما زارني الى محل عملي لايصال احد مسودات الكتاب او للتكليف بقضاء حاجة معينة وكان ولده المرحوم الشهيد السيد مؤمل اكثر اولاده صحبة له لعدة عوامل احدها انه يقود سيارته ولخلوه من بعض الموانع التي اعاقت حركة المرحوم الشهيد السيد مصطفى الذي اختفى مدة بسبب هروبه من الخدمة العسكرية ثم التحق بها، اما السيد مقتدى فالتحق بالدراسة الدينية في جامعة النجف قبيل الاحداث.

وقال لي قدس سره انه عاود اقامة الصلاة جماعة في الروضة الحيدرية الشريفة بعد انقطاعه عنها لعقد من الزمان وكان قد شغل المكان في تلك الفترة احد المحسوبين على النظام وهو (نوري الموسوي) فمانع الاخير بحجة ان هذا مكاني منذ ثلاث سنين فارسل اليه السيد ان هذا مكان الاسرة منذ خمسين سنة فحاول ذلك الرجل الايحاء الى السيد بانني قد اضرك من جهة السلطة لكن السيد قدس سره ثبت على موقفه بحزم وظل محتفظاً بالمكان.

وخلال ايام القصف الامريكي وحلفائها الذي امتد من ليلة (١٩٩١/١/١٧) حتى (١٩٩١/٢/٢٨) صادفت رحلة السيد الى ايران مع وفد ديني من علماء الشيعة والسنة لتحسين العلاقة مع القيادات

الدينيـة فـي الجمهوريـة الاسـلامية بعـد ان تحسـنت مـن الناحيـة السياسية وبعد عودته زرته في الدار وتحدث لي عن طبيعـة زيارتـه واهدافها ونتائجها وقـد اعلـن عـن بعـض ذلـك فـي احـدى لقاءاتـه المسجلة ابان انتشار مرجعيته.

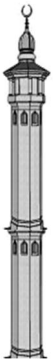

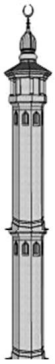

الفصل الثالث

من تاريخ الحركة الإسلامية والسيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره

١٩٨٥ – ١٩٩٠

من تاريخ الحركة الإسلامية
والسيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره)
١٩٨٥ – ١٩٩٠[1]

اللقاء الأول بالشهيد الصدر:

س١: متى كان لقاؤكم المباشر لأول مرة مع السيد الشهيد الصدر قدس سره وكيف؟ بعد ان كان تواصلكم عبر الرسائل فقط.

ج: بسم الله الرحمن الرحيم: كان ذلك في سنة ١٩٨٧ حيث بدأ السيد الشهيد الصدر بالخروج عن عزلته الاجتماعية وأخذ يحضر بعض المناسبات الدينية كالمجالس الحسينية التي تقام في بعض البيوتات وكنت أراه لكنني لم أتحدث معه حتى استأذنته في بعض رسائلي إليه، فأجاب بالإيجاب ولكنه طلب مني صورة شخصية ليتعرّف علي إذا سلمتُ عليه لأنه كان يتوقع كل شيء

(١) حوارية أجريت مع سماحة الشيخ اليعقوبي يوم ٤/محرم/١٤٣١ الموافق ٢٠٠٩/١٢/٢١ لتغطية أحداث هذه الفترة وتتميم كتاب (الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه) لسماحة الشيخ اليعقوبي.

فيحتمل أن رسائله وقعت بيد جلاوزة النظام وأن أحدهم تقمص شخصيّتي وجاء للإيقاع به، وقد أرسلت صورة حديثة إليه ومع ذلك طلب مني أن أعرّف نفسي حين ألقاه، وقد أرسل قدس سره صورته إليّ على العرف الجاري بين المتحابين في تهادي الصور التذكارية.

وبعد ذلك كنت ألتقيه في تلك المجالس وأخصّه بالسلام والحديث المقتضب دون غيره من العلماء الذين يجتمعون في مكان مخصص لجلوسهم رغم إن لي علاقات خاصة مع عددٍ منهم ومثل هذا التصرف غير مألوف لكنني لم أكن استطع تمالك نفسي دون أن أسلّم عليه.

ثم بدأت بزيارته قدس سره في داره واللقاء به، كما بدأ بإقامة مجالس العزاء في ذكرى وفاة المعصومين عليهم السلام وكان بيته في الحنانة يزدحم بالحضور وأغلبهم من المصلين في جامعة النجف الدينية حيث كان والده قدس سره يقيم صلاة الجماعة فيها وتزوّج اثنان من أولاد عميدها السيد محمد الكلانتر قدس سره من بنتي السيد الشهيد الصدر قدس سره.

وكنت أرافقه في بعض المناسبات وندعوه في بعض مناسباتنا الاجتماعية كعقد قران بعض الأقرباء كما زارني في داري

وفي محل الكسب الذي اتخذته لاحقاً، وصحبناه مرة أنا وأخي المرحوم الشيخ علي بسيارته إلى كربلاء المقدسة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في ليلة الجمعة، وكان يذهب ـ كما قال في إحدى رسائله ـ في السنة مرة أو مرتين وكنت أستشيره حتى في أموري الشخصية والاجتماعية كقضية تزويجي وأن تكون علوية، فأيد مطلبي هذا وقال: الأفضل أن تكون علوية من جهة الأبوين وهو ما قسمه الله تبارك وتعالى، وأبدى لي استعداده في دعمي ـ على حسب تعبيره ـ عند الخطبة من أي أسرة أرغب فيها.

س٢: هل يعني هذا أن السيد الشهيد الصدر قدس سره هو الذي عقد قرانكم؟

ج: لم يتيسر لي ذلك، والأصح إنني لم اطلب منه قدس سره ذلك، لأن عقد قراني كان في بغداد ولم أشأ مزاحمته قدس سره وكنت أتوقع أن السفر إلى بغداد محرج له، وكانت لنا علاقة وطيدة بعدد من العلماء، وقد أجرى العقد المرحوم آية الله السيد محيي الدين الغريفي قدس سره.

الانفراج النسبي عن الشهيد الصدر:

س٣: ما الذي حدث عام ١٩٨٧ وصار السيد الشهيدقدس سره يأخذ حريته في الحركة والمشاركة في المناسبات الدينية والاجتماعية ولو بشكل محدود بعد أن كان منعزلاً تماماً بحيث قال في احد لقاءاته المسجلة أبان مرجعيته، انه لا يسلم على أحد ولا يسلّم عليه أحد في تلك المرحلة.

ج: التغيرات الاجتماعية لا تحصل دفعه وإنما بالتدرج، لذا لا يمكن تحديد تاريخ معين للتغير في الظروف المحيطة بنا يومئذ والتي أوحت إلى السيدقدس سره بإمكان أخذ حريته النسبية، والعام المذكور كان تاريخاً للحديث عن لقائنا المباشر.

وهذه التغيرات تحتاج إلى عناية خاصة من الباحثين و المفكرين لدراستها وتحليلها ومعرفة عوامل حصولها لأنها فترة مهمة من تاريخ الحركة الإسلامية خاصة والعراق المعاصر عامة وقد أسست لانطلاقة جديدة لها بعد أن خمدت مطلع الثمانينات وأضرمت بانطلاقتها هذه انتفاضة عام ١٩٩١ وكسرت شوكة نظام صدام حتى إسقاطه عام ٢٠٠٣ وأعطاها السيد الشهيد الصدر الثانيقدس سره زخماً كبيراً عندما تصدى للمرجعية بعد الانتفاضة حتى توّجها باستشهاده عام ١٩٩٩.

ولا زالت هذه الفترة مجهولة بل يتعمد الكتّاب والمؤلفون في تاريخ الحركة الإسلامية تجاهلها لأن أكثرهم كان خارج العراق في حينها ويدّعي زعامة المعارضة العراقية، فإبراز تاريخ الحركة الإسلامية داخل العراق في تلك الفترة يفضحهم ويظهر زيف معارضتهم المزعومة. على أي حال استطيع القول أن المعارك الكبيرة التي شهدتها الحرب بين نظام صدام وإيران خلال سنوات ١٩٨٢-١٩٨٥ كبدّت العراقيين خسائر جسيمة بالأرواح وعمّت المصائب أغلب البيوت تقريباً وقد وقعت الخسائر في الشيعة الذين جعلهم صدام المقبور وقوداً للحرب، لذا كان رد الفعل الطبيعي هو التوجه إلى الله تعالى والتوسّل بأهل البيت عليهم السلام وقصد مراقدهم المقدسة وإحياء الشعائر الدينية ولأكثر من سبب[1] فإن تحولاً نوعياً بدرجة ما قد حصل في كيفية تعاطي النظام مع نمو الظاهرة الدينية

(١) منها شعور النظام بعدم وجود تهديد جدي في الداخل بعد القضاء على رموز المعارضة، أما المعارضة في الخارج فقد كان يسخر منها ومن عملياتها التي لا تملك أي قيمة في تهديده ولا تعدو إثبات الوجود ولضمان استمرار الدعم من الدول المساندة لتلك المعارضة، كما أن الحرب مع إيران لم تعد تهدد وجود نظامه وشعر بتوازن القوى بعد استخدامه للأسلحة الكيمياوية في عمليات هور الحويزة في شباط ١٩٨٤ وغيرها من الأسباب

(وأسميها بهذا الإسم تمييزاً عن الحركة الإسلامية التي تعني بروز النخبة وقصدها للعمل الذي يكون نخبوياً عادة أما الظاهرة الدينية فهي حالة شعبية عامة).

وأقصد بالتحول النوعي غضّ النظر عن جملة من الممارسات التي كان يعتبرها جريمة يعاقب عليها القانون كالتدين خصوصاً عند الشباب وارتياد المساجد وحضور صلوات الجماعة والشعائر الدينية وزيارة العتبات المقدسة ووجود الكتاب الديني التقليدي ونحوها التي كانت توجد مادة في قانون العقوبات تقضي بالسجن سبع سنوات على هذه الأمور بتهمة الطائفية.

فصرنا بعد عام ١٩٨٥ نشهد المجالس الحسينية الضخمة في المساجد والبيوت مما لم يكن مألوفاً من قبل وكان للسادة آل بحر العلوم (الذين قضى كثيرٌ منهم في السجن بعد الانتفاضة الشعبانية) دور بارز في إحياء تلك المجالس على طيلة شهري محرم وصفر وفي وفيات المعصومين (سلام الله عليهم) وأخصّ بالذكر الأعلام الأجلاء السيد علاء الدين والسيد عز الدين والسيد جعفر والسيد حسن الذين اعتقلهم النظام في الانتفاضة مع أولادهم وإخوانهم ومضوا شهداء على طريق ذات الشوكة.

ولشعور النظام بالثقة بنفسه فقد اصدر في مايس/١٩٨٦ عفواً

عاماً عن السجناء وأكثرهم من الشباب المتدينين، ونقل أخي المرحوم الشيخ علي الذي كان أحدهم أن عدد المفرج عنهم بلغ ثلاثين ألفاً، وكان على هؤلاء الالتحاق بالجيش الصدامي الذي دُعي للخدمة فيه كل من تقع أعمارهم بين ١٨-٤٠ سنة، أما غيرهم فيجنّدون في ما يسمى بالجيش الشعبي.

وكنت التقي بمجاميع من هؤلاء الشباب المتدينين في كربلاء عند زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليلة الجمعة ولما لم يستطع بعضهم التعايش مع النظام فقد غادر قسم منهم العراق بشكل أو بآخر وشكل عدد آخر مجاميع مسلحة لمواجهة النظام، وكانت المجموعة [1] التي ترأسها المرحوم الشهيد حسين علوان اليعقوبي في النجف الأشرف من أشدها تهديداً للنظام وقامت بتصفية عدد من رموزه وازداد قلقه من عدم العثور على خيط يوصلهم إلى رجالها، حتى تمكنوا من ذلك واعتقلوا الشهيد المذكور وعذّبوه

(١) كانت للمجموعة عدة نشاطات غير العمل المسلح كمساعدة المحتاجين خصوصاً عوائل الشهداء والسجناء وتزويج الشباب المؤمنين ومساعدة المتخلفين عن الخدمة العسكرية والمجاهدين بإخفائهم وتنظيم الوثائق الثبوتية التي تتيح لهم الحركة، وقد استفدت أنا شخصياً من هذا العمل الأخير.

بأقسى وأشرس ألوان التعذيب الوحشي وحبسوا عائلته في البيت[1] واتخذوه مقراً لجلاوزة الأمن الصدامي للقبض على كل من يطرق الباب ومكثوا فيه أسابيع اعتقل فيها عدد من الأصدقاء والأقرباء بينهم عدد من النساء.

وإنصافا نذكر هنا أن المرحوم آية الله السيد حسين بحر العلوم قدس سره كان يدعم هذا العمل مادياً ومعنوياً، كما كان للمرحوم الشهيد الخطيب الشيخ عبد الأمير أبو الطابوق الدور البارز في رفع مستوى الوعي والهمة والحماس في نفوس المؤمنين بما يلقيه من محاضرات رسالية تعبوية لم تكن معتادة خصوصاً في مثل تلك المجالس العلنية العامة كالمجلس الذي كان يقام في جامع الطوسي في العشرة الأولى من محرم الحرام ويمتلئ الحرم والساحة ويُفرش الشارع الخارجي (شارع الطوسي) ويتقطع مرور السيارات لامتلاء المكان بالناس، وقد دسّ إليه جلاوزة الأمن سماً قاتلاً آنذاك لكنه لم يمت ببركة دعاء المؤمنين وإنما شُلّت أعضاؤه وسقط شعر رأسه ثم قبض عليه في الانتفاضة ومضى شهيداً.

(١) وهو دار أسرة آل اليعقوبي التاريخي في مدخل المدينة القديمة وتتوارثه الأسرة منذ أكثر من (١٦٠)عاماً.

على أي حال لقد استطردت إلى ذكر هذه الأجواء للأمانة التاريخية ولحثّ الكتّاب والمفكرين على تغطية هذه الفترة المهمة، ومحل الشاهد منها إن السيد الشهيد الصدر قدس سره أدرك أن جملة من النشاطات يمكن أن يقوم بها ولم تعُد محظورة من قبل النظام فبدأ بالظهور الاجتماعي، ثم عاود التدريس في جامعة النجف الدينية وكان يرغب بتدريس البحث الخارج إلا أن خلو الجامعة ـ بحسب نظامها الداخلي ـ من هذا المستوى من البحث دفع السيد الشهيد قدس سره إلى القبول بتدريس عدد من الطلبة ـ كان عددهم ثلاثة ـ كتاب الكفاية في الأصول على أمل أن يبدأ معهم بحث الخارج عند إكماله. لكن الفرصة سنحت له لافتتاح البحث في أروقة الحوزة إلى جوار أمير المؤمنين عليه السلام.

نمو المظاهر الدينية وأثرها على الحوزة:

س ٤: تتمة للاستطراد السابق هل أثّر هذا النمو للظاهرة الدينية على وضع الحوزة العلمية في النجف الأشرف؟

ج: نعم أثر إيجاباً فقد بدأ عدد من العراقيين بالالتحاق بالحوزة العلمية بعد أن انتهى وجودهم تقريباً وتفرّقوا بين إعدام واعتقال وتهجير ومن بقي سيق إلى الخدمة العسكرية أو توارى

عن الناس، كما أن توقف الحرب مع إيران عام ١٩٨٨ فتح الباب لمجيء طلبة العلم من الخليج وغيرها، وعاد إلى التدريس من كان منكفئاً عنه كالسيد الشهيد الصدرقدس سره، فكان نمو الحراك العلمي في الحوزة واضحاً، كما تحسّن الوضع المالي بتوافد الزوار من دول العالم وكنت أتردد على مقر إقامة السيد الخوئيقدس سره في الكوفة وأرى هذه الوفود، وكذا في بيوت كبار العلماء كالسادة آل بحر العلوم والسيد محيي الدين الغريفي وغيرهم، لكن غزو صدام للكويت قضى على كل هذا التحسن وأعاد عقارب الزمن إلى الوراء.

تأليف ما وراء الفقه:

س٥: ورد في بعض رسائلهقدس سره معكم المنشورة انه طلب مساعدتكم في تأليف كتابه القيم (ما وراء الفقه) فما وجه هذه المساعدة وما حدودها؟.

ج: ذكرقدس سره في بعض رسائله بتواضعه المعروف انه يستفيد من رسائلي وذكر عدة فوائد، منها: أنها تفتح ذهنه على أفكار جديدة، وعنوان كتابه (ما وراء الفقه) جاء بعد ما بعثت له بمشروع للكتابة في (ما وراء النص) أي النص الفقهي، وأصل البحث

وتعليقاته قدس سره منشورة في كتابي (الشهيد الصدر قدس سره كما أعرفه).

ولما كان الكتاب يتناول المسائل الفقهية من جهة ارتباطها بالعلوم الأخرى ومنها العلوم العصرية، ويعرف السيد الشهيد قدس سره أنّ لي حصيلة مفيدة في هذا المجال فطلب مني مساعدته في توفير مثل هذه المعلومات وتدقيق ما يأخذه من المصادر، ومراجعة ما يكتب، ويوجد طلبه في تلك الرسائل.

فكان قدس سره يبعث بدفاتر المسودات التي وصلت إلى حوالي (٢٨) كل منها فئة (٢٠٠) ورقة حيث كان يكتب بصفحة واحدة هي اليسرى ويترك اليمنى المقابلة للإضافات والهوامش والتعليقات وقد اتبعته في ذلك في كتاباتي اللاحقة.

وكنت أؤشر بتعليقاتي على تلك المسودات وكانت التعليقات على كتاب الميراث غزيرة تعجب قدس سره من كثرتها وقد بقي بعضٌ منها ذكرته في كتاب (الرياضيات للفقيه).

وقد استفدت من مراجعة مسودات الكتاب كثيراً لأنها كانت أول قراءة منظمة لكتاب فقهي من أول الفقه إلى آخره حيث كنت لا أزال اعتمد على مطالعاتي الشخصية ولم انضمّ إلى كيان الحوزة العلمية.

كما تولّد لي خلال المراجعة شعور بحاجة الحوزة العلمية

إلى كتاب يقدّم لهم ما يحتاجون من علم الرياضيات في المسائل الفقهية ويراعى فيه الوضوح في إيصال المعلومة، فألّفتُ (الرياضيات والفقه) حيث نال رضاهقدس سره ورغب بطبعه في الجزء الثامن وإلحاقه بكتاب الميراث وأضفت له فقرة (التباديل والتراكيب) جواباً على طلبهقدس سره بأنه هل يمكن وضع قانون أو قاعدة لاستقصاء مسائل الميراث بدل الطريقة المتبعة لدى الفقهاء (قدس الله أرواحهم) بافتراض مسائل لا حدود لها وحلها، وقد كتبت أكثره في أوقات الفراغ في محل الكسب.

وبعد التحاقي بالدراسات الحوزوية عمّقت الكتاب وأضفت له موارد جديدة فكان كتاب (الرياضيات للفقيه) ولله الفضل والحمد أولاً وآخراً.

أثر انتهاء الحرب على العلاقة مع الشهيد الصدر:

س٦: ما وقع قرار إيقاف الحرب بين العراق وإيران على السيد الشهيد الصدرقدس سره وعليكم؟

ج: كان السيد الشهيدقدس سره من المعارضين لاستمرار الحرب وكان يتمنى على القادة الإيرانيين لو قبلوا بقرار مجلس الأمن لإيقافها منذ عام ١٩٨٢ بعد أن حرّروا جميع أراضيهم في أواخر

مايس من تلك السنة وقد أشرتُ إلى هذا في كتاب (السيد الشهيد الصدر قدس سره كما أعرفه) لأنه كان يرى استمرار الحرب استنزافاً لطاقات البلدين المادية والبشرية وكانت الخسائر تقع في الشيعة الذي كان يرميهم صدام المقبور في الجبهات الأمامية، وكان قدس سره يدرك المؤامرة الدولية التي تريد إنهاء الشيعة في البلدين وثرواتهم، وكتب في هذا المجال بحثاً بعنوان (فلسفة الأحداث في العالم المعاصر) وبعثه إليّ للاطلاع والتعليق عليه، وقد ذكرتُ ذلك في الكتاب المذكور وهو مطبوع.

وكان الخلاف موجوداً بين القادة الإيرانيين أنفسهم حيث كان يرى البعض عدم وجود مبرر لدخول الأراضي العراقية (الذي بدأ في عمليات شرق البصرة في تموز/١٩٨٢ الذي صادف شهر رمضان المبارك) فيما كان يرى البعض الآخر ضرورة ملاحقة صدام في عقر داره وإنزال العقوبة به وإزاحته، وقد نجح الفريق الثاني في إقناع السيد الخميني قدس سره الذي كان صاحب القرار النهائي واستمرت الحرب حتى قِبل السيد الخميني قدس سره بقرار مجلس الأمن (٥٩٨) ببيانه التاريخي الذي أصدره في ١٩٨٨/٧/٢٠ الموافق السادس من ذي الحجة بمناسبة الذكرى الأولى لسقوط المئات من الحجاج الإيرانيين شهداء وجرحى أثناء قيامهم لمسيرة

البراءة في مكة المكرمة.

أما بالنسبة لي فقد شُغلتُ بنفسي و تخلّيت في حينها عن أغلب اهتماماتي ومنها مجريات الحرب فلم أتابع ما حصل من العمليات عام ١٩٨٨، ولم اسمع بقرار وقف الحرب إلا من بعض أقربائي الذين قصدوني للتهنئة بانتهائها والسلامة وكنتُ قد انتقلت بسكني إلى النجف الأشرف منذ أوائل عام ١٩٨٨. وسمعت خطاب السيد الخميني قدس سره المتضمن لقبول قرار مجلس الأمن من التلفزيون العراقي.

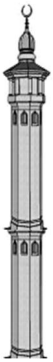

الفصل الرابع

في الانتفاضة الشعبانية
(شعبان ١٤١١هـ / آذار ١٩٩١)

في الانتفاضة الشعبانية

حرب الخليج:

كان الوضع الامني في العراق متسيباً خلال قصف الحلفاء للعراق فيما اسموه بـ(عاصفة الصحراء) والذي بدأ بعد منتصف ليلة (١٩٩١/١/١٧) بهدف معلن هو تحرير دولة الكويت من سيطرة القوات العراقية وفي الايام الاخيرة كنا لا نشعر بوجودٍ يذكر للنظام، نعم في بعض الحالات الطارئة كان يعززالنظام قبضته او يوحي بذلك على الاقل كما حدث في مراسم تشييع آية الله الشيخ محمد تقي آل الشيخ راضي وآية الله السيد يوسف الحكيم حيث اعتقل مجموعة من الشباب لم يلبثوا ان أُفرج عنهم في نفس اليوم بعد توسط سماحة آية الله الخوئي قدس سره.

واعلن الحلفاء ايقاف الحرب يوم الخميس (١٩٩١/٢/٢٨) ومن حينه سرت في اوساط الشعب اخبار عن انطلاق مظاهرات معارضة للسلطة والناس بين مصدقٍ ومكذب لان الرعب الذي زرعه النظام في قلوب الشعب ما زال موجوداً نتيجة لاعماله الشنيعة وبطشه الشديد واعلن ان موعدها يوم الجمعة (٣/١) ثم اجلت

بسبب انشغال الناس بزيارة النصف من شعبان الى مرقد ابي عبد الله الحسين عليه السلام التي صادفت ليلة السبت وكانت كربلاء مشتعلة بالعواطف الثورية المتأججة وساهم في تصعيدها وجود السيد الخوئي نفسه في الزيارة لكنه لم يستطع الوصول الى الحرم الشريف بسبب الازدحام وترقب الناس لمجيئه فاكتفى بالزيارة من سيارته خارج الصحن الشريف، لكن عدداً من الجماهير اتخذوا من آية الله المرحوم السيد حسين بحر العلوم رمزاً لاظهار الولاء للحوزة الشريفة وكان حاضراً وسط الجموع بعد ان لم تحظ بالسيد الخوئي قدس سره.

الشراراة الأولى:

وقد سبقت مدينة البصرة في حصول الانتفاضة حيث حصلت مواجهات مسلحة بدأها الجيش المنسحب من الكويت بكل مهانة واحتقار والذي نجا باعجوبة من قصف الطائرات الامريكية وحليفاتها التي كانت تحصد العراقيين وهم يلوذون بالفرار حفاة منهوكين حيث اعلنت القيادة العراقية الانسحاب من طرف واحد قبل ان يعلن الحلفاء وقفاً لاطلاق النار.

وحين دخول الناجين من هؤلاء مدينة البصرة حصل ارباك

وفوضى فارادت القوات المرابطة بالبصرة وقوات الأمن والجيش الشعبي التي تدافع عن النظام والسيطرة على الموقف ومنع التدهور فحصل اشتباك مسلح حتى بالاسلحة الثقيلة بين الطرفين واشتعلت المواجهة واستمرت إلى مدن البصرة الاخرى.

النجف رائدة الثورة:

واما النجف فقد انطلقت المظاهرات فعلاً ظهر يوم الاحد (١٩٩١/٣/٣) المصادف (١٦ شعبان ١٤١١) ولم يكن الشعب مسلحاً بشكل معتد به الا ان معاقل السلطة في مركز المدينة كمديرية الشرطة وبعض مراكزها ومقرات الحزب سرعان ما تهاوت امام تضحيات الشعب الاعزل فغنم المجاهدون اسلحتهم ثم اتخذوا الصحن الحيدري الشريف مقراً للقيادة وباتت الانفاس محبوسة تلك الليلة فغداً يوم المواجهة بين الشعب والنظام الذي ما زالت الكثير من اوكاره كمديرية الامن ومقر الجيش الشعبي ومقر ادارة المحافظة قائمة.

وما ان حل صباح يوم الاثنين حتى انطلقت جماهير الشعب بموكب حسيني يردد شعارات الولاء والثار لأهل البيت عليهم السلام ويتقدم الموكب مجموعة من المسلحين وقد اعتلى بعضهم سيارة

اطفاء وتابع الموكب سيره على شارع الكوفة الذي تقع عليه اكثر مراكز النظام كمديرية الامن ومقر قيادة الجيش الشعبي ومقر ادارة المحافظة مع بعض جيوب المقاومة لأفراد الحزب المغرر بهم الذين تحصنوا في بعض الابنية لمقاومة زحف الثائرين واخذ المجاهدون يطهرون الموقع تلو الآخر حتى تمت السيطرة عليها جميعاً عصر ذلك اليوم فعاد المجاهدون الى الصحن الحيدري الشريف ليحتفلوا بالنصر وتخليص المدينة المقدسة من براثن النظام.

الثورة وعلماء الدين:

وهنا بدأ التساؤل عن المرحلة التالية فلم تكن الانتفاضة مخططاً لها ولمستقبلها ولم تكن لها قيادة تذكر فكان من الطبيعي ان يلتجأ زعماء الحركة الجماهيرية الى علماء الدين وظنوا انهم سيستقبلونهم بالزهور لما حققوه من نصر لكن الامر كان بالعكس فقد قوبلوا ـ بحسب ما نُقِل لي ـ بالاعراض والجفوة والاستهجان والتقريع على هذه التصرفات.

واختفى كثير من ائمة الجماعة في بيوتهم ولم يبق احدٌ منهم مستمراً على صلاة الجماعة إلا السيد الصدر فيما اعلم حيث كان

يقيم صلاة المغرب والعشاء في الروضة الشريفة وصلاة الظهر والعصر في مسجد الهندي وسارع الى اصدار بيان يدعو فيه الى نصرة الثورة الاسلامية المباركة في العراق وكان الاخ زيد البغدادي احد المجاهدين المتحمسين ومن الساهرين على حماية الصحن الحيدري الشريف ولعله الذي استصدر هذا البيان من السيد لايمانه بجدارة السيد للقيادة ولكي يطرح اسمه على الساحة اذ لم يكن السيد معروفاً اجتماعياً او حوزوياً بشكل واضح وان كان اسمه لم يغب عن ذهن الواعين وان غاب شخصه عقداً من الزمان، وكان بيان السيد السبزواري قدس سره متحمساً ايضاً اما بيان السيد الخوئي فقد كان متحفظاً يدعو الى الحفاظ على النظام الاجتماعي العام وصيانة ممتلكات الشعب وعدم ارتكاب مخالفات للشرع المقدس ونشرت البيانات جميعاً في العدد الاول من الصحيفة التي اصدرتها قيادة الانتفاضة واستمرت اربعة او خمسة اعداد، وكنت احتفظ بها الا انني اتلفتها مع امور اخرى حينما اقتحمت قوات النظام بيوتنا للتفتيش.

التفكير لقيادة الانتفاضة:

وبعد يوم او اكثر ارسل اليَّ سماحة السيد سيارة من تلك التي غنمها الثوار من المؤسسات الحكومية وفيها ولده السيد مؤمل

والاخ زيد البغدادي يدعوني للاجتماع به فذهبت فوراً والتقيت به في داره وقال ان الذي دعاني الى هذا اللقاء امران:

احدهما: ضرورة تعيين قائد مدني او قل سياسي للثورة ولا يمكن ان تبقى الامور بلا قرار سياسي بعد استقرار الوضع العسكري في النجف.

وثانيهما: ضرورة الاتصال بايران وطلب النصرة والنجدة منهم.

وحول الامر الاول فقد رشح الاخ الاستاذ محمد عبد الساعدي[1] لذلك المنصب ولكنه اعتذر من قبول ذلك وكان

(١) هو شخص عرفته عام ١٩٧٤ عندما كنت طالباً في مدرسة الامام الجواد عليه السلام الاهلية التي كانت من المؤسسات الشيعية التي تحظى بتأييد السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره ودعمه وكانت شقيقته الشهيدة بنت الهدى مشرفة على مدرسة الاناث وكان الاستاذ محمد مشرفاً عاماً على المدارس وقد عرف بحسه الثوري الحركي وقد اصدر عدة كتب في هذا الاتجاه منذ ان كان طالباً في كلية القانون في منتصف الستينات ومنها كتاب (الاسلام ومعركة المصير الانساني) وبعد فراق عدة سنين اعتقل هو خلالها وجدته فجأة قاضياً لمحكمة الاحوال الشخصية في النجف فاعدت التعريف عليه واستمرت علاقتنا ومن ثم تعرف (او قل اعاد التعريف) بالسيد الصدر

السيدقُدِّسَ سِرُّهُ متوقعاً لذلك فأمرني بتولي المنصب في حال رفض الاستاذ محمد ذلك، فابلغت السيد بالخبر وقلت له ان الخطوة الأولى هي التعرف على العناصر الرئيسية في الانتفاضة ودراسة ان كان بالامكان التأثير فيهم بهذا الاتجاه.

وذهبت الى الصحن الشريف واطلعت على الوضع عن كثب فوجدت ان فرصة السيد في ممارسة دور قيادي بعيدة فقد كان الاتجاه العام نحو السيد الخوئيقُدِّسَ سِرُّهُ ولا يمكن تجاوزه او تحييده واصبح القرار فعلاً بيد مكتب السيد الخوئي وبالذات السيد محمد تقي الخوئيرَحِمَهُ اللهُ ومارس شيئاً من ذلك خلال ايام الانتفاضة وأخبرت السيد بذلك وقلت له باختصار ان دور العلماء يتسم بالحذر الشديد بانتظار انجلاء الموقف قال ومن الذي يجلي الموقف ؟! أي اليس العلماء هم الذين يقومون بتسيير الامور وقيادتها نحو وجهتها الصحيحة وليس دورهم التفرج.

وفي احد الايام لم يحضر السيد الى صلاة الجماعة في الروضة الحيديرية وسألته بعدئذٍ فقال ان السيد الخوئي دعا

بواسطتي وصادف اكثر من مرة ان صحبت السيد لزيارته في داره او صحبته هو لزيارة السيد في داره.

مجموعة من علماء وفضلاء الحوزة ليخبرهم بعزمه على تشكيل لجنة لادارة شؤون المجتمع في هذا الوضع المتأزم ودار النقاش ست ساعات وقد اقترح ان يكون السيد الصدر منهم الا انه رفض وقال لي ان السبب هو انه علم ان هذه اللجنة يكون دورها هامشياً وانما الأمر والنهي بيد السيد محمد تقي نفسه الذي كان سكرتير اللجنة ورفض معه السيد حسين بحر العلوم والسيد مهدي الخرسان ووافق الآخرون وكان بعضهم حياءً من السيد الخوئي نفسه وهم جميعاً من تلامذته واتباعه (كالسيد محي الدين الغريفي قدس سره كما اخبرني هو فقد كانت تربطني به علاقة وطيدة وكان يائساً من استمرار الثورة فضلاً عن نجاحها بشكل كامل) وضمت اللجنة ايضاً السيد محمد رضا الخرسان والسيد عز الدين بحر العلوم والسيد جعفر بحر العلوم والسيد محمد رضا الخلخالي والشيخ محمد رضا شبيب الساعدي والسيد محمد السبزواري.

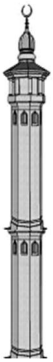

المواجهة مع النظام:

ولما بدأت قوات الحرس الجمهوري بالزحف على كربلاء ومحاصرتها نادى منادي الجهاد من اذاعة الانتفاضة ومقرها الصحن الحيدري الشريف وانطلق الآف المجاهدين من النجف باسلحتهم

من مختلف الصنوف بما فيها الثقيلة وقد غنموها من قوات القدس التابعة للحرس الجمهوري التي كانت مرابطة حول مدينة النجف وكان في قيادتهم السيد عبد المجيد الخوئي وسبقهم العلامة الشهيد السيد محسن الغريفي فقرأ بيان السيد الخوئي من مكبرات الصوت في الحرم الحسيني الشريف وقال لي رحمه الله (وهو صهري والد زوجتي) انه رأى خلو شوارع مدينة كربلاء الا من المسلحين المستعدين للدفاع عن المدينة ونزح اغلب اهلها نحو الجنوب مروراً بالنجف وان الوضع متوتر.

وخرجت مع قافلة غير المسلحين اذ لم اكن احمل سلاحاً ولا متدرباً على استعماله وكان معي ايضاً الشيخ قاسم الطائي (وهو زوج اختي، وكان مقيماً معنا في البيت طيلة مدة الحرب ولم يكن قد ارتدى الزي الديني)، ولا انسى الروح الثورية الجامحة والرغبة في الاستشهاد او النصر التي كانت تنطلق من حناجر الثوار وهم يقطعون الطريق من النجف الى كربلاء بالاهازيج والشعارات بمن فيهم الصغير والكبير والشيخ الفاني والشاب وكنّا على طول الطريق نشاهد النازحين من كربلاء طلباً للنجاة وهم سائرون على الاقدام باتجاه النجف في ظل برد الشتاء وليس معهم الا ما خف حمله ويلّوحون بايديهم تشجيعاً للمجاهدين وكأنهم يخاطبونهم بقوله

تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ...﴾ حتى وصلنا مشارف كربلاء وانتشرت القوات في مراكزها اما نحن غير المسلحين فاعادونا الى النجف لعدم الحاجة الينا في المعركة ورجع هؤلاء على مضض وكلهم شعور بالخسران واخبرت السيد قُدِّسَ سِرُّهُ ـ حيث كنت اواصل زيارته ومراجعته ـ بهذه التطورات فشعرت منه بعدم الرضا على زّج نفسي في المكان غير اللائق بي فلكلٍ دوره المناسب له ولما كتبت مقالاً حماسياً بعنوان (حيّ على الجهاد ايها العراقيون) الى صحيفة الثورة وسمعت بعض فقراته تتلى من الاذاعة المنطلقة من الصحن الشريف وسجلّت فيه بعض عواطف المجاهدين اخبرت السيد بذلك فرأيت علامات الارتياح عليه وان هذا هو العمل المناسب لي.

القيادة الجديدة للثورة:

ولما شعر بعض زعماء المجاهدين ان الثورة بدأت تضمحل وتتميع في ظل هذه القيادة الدينية وقد جُردوا من الصلاحيات كما انهم لم يروا أي تفكير في توسيع الثورة الى بقية المحافظات والزحف نحو بغداد وتدعيمها أحسّوا بالحاجة الى قيادة (حركية) جديدة تجتمع فيها صفات الوعي والشجاعة والحزم والرصيد

الاجتماعي فوجدوها متمثلة في شخص السيد الشهيد الصدرقدس سره ولا ادري ان كان ذلك باشعار من الأخ زيد البغدادي الذي كان معهم او غيره، المهم انهم التفتوا الى السيدقدس سره وعرضوا عليه الأمر فوافق عليه.

هذا وقد بدأت قوات الحرس الجمهوري بالزحف نحو مدينة النجف وبدأ قصف مدفعي بعيد يطول احياناً البيوت المتطرفة في شمال شرق المدينة (باتجاه مثلث الحدود بين النجف والحلة وكربلاء حيث عبرت القوات نهر الفرات جنوبي مدينة الكفل) كان ذلك بعد ظهر يوم الثلاثاء (١٩٩١/٣/١٢) وفي يوم الاربعاء التالي وكانت اصوات قذائف المدفعية والدبابات تُسمع في ارجاء المدينة لكن من دون ان يطالها والشارع العام يتحدث عن معارك بالاسلحة الثقيلة وتراجع قوات الحرس الجمهوري الزاحف على النجف، أقول في ذلك اليوم صليت الظهر والعصر خلف سماحة السيدقدس سره في جامع الهندي وبعد انتهاء الصلاة أحيط بحماية مكثفة ورجال مسلحين وصيحات التكبير والتهليل والصلاة على النبي وآله تشايعه حتى الحرم الشريف ومذيع الانتفاضة يطلق كلمات الترحيب واستقبال الزعيم المجاهد سماحة آية الله السيد محمد الصدر وكنت ضمن المجموعة التي رافقته بعد أن صليت

خلفه ولكن من دون ان اعلم بسر هذا التغيير الذي حصل اليوم رغم انه كان يخرج من المسجد يومياً بشكل اعتيادي من دون هذه الهالة والضجيج ومن غير حماية مسلحة.

وصعد السيد على سطح (الكشوانية) المواجهة لباب القبلة والناس تجتمع في الصحن الشريف وهم يقابلونه بالهتافات والقى كلمة ارتجالية مختصرة حث فيها على نصرة الثورة الاسلامية المباركة ودعمها والمشاركة فيها لعل الله سبحانه يرحم هذا المجتمع وينشر لواء الاسلام في ربوع هذا البلد المقدس.

ثم نزل السيد وركب سيارة (شوفرليت ــ جي.ام.سي) وصعدت معه وشخص آخر عرفني عليه السيد هو (عبد الرسول الكرمي) واكتظت السيارة بالمسلحين واوصلنا السيد الى داره وامرني بمرافقة الكرمي وقال انه سيعرفك على المطلوب، فاصطحبني الى بيته في الشارع الخلفي لدار السيد هذا وقد اشتدت اصوات القصف وبدأت بالدنو من المدينة فقال الكرمي: هذه قواتنا تحاصر قوات الحرس المهاجمة وقد امهلوهم حتى الساعة الواحدة ظهراً فاما ان يستسلموا او القضاء عليهم وبدأ الكرمي يشرح لي خطة الحركة بتشكيل مجموعة من اللجان تكون اشبه بالوزارات المصغرة واحدة للشؤون العسكرية وتشمل القوات التي

بدأت الانتفاضة ولا زالت تقاتل في عدة جبهات واخرى لشؤون الدفاع المدني والمليشيات وأخرى لجنة الارتباط بالحوزة العلمية الشريفة والعلماء المجاهدين وأخرى اللجنة السياسية والاعلامية وأخرى لجمع التبرعات المالية ومساندة الثورة اقتصادياً، وكنت على رأس اللجنة السياسية والاعلامية، وأوكل اليَّ امر اختيار العناصر الكفوءة التي تنفع في هذا الاتجاه.

اعتقال السيد الشهيد الصدر+ والقضاء على الانتفاضة:

وغادرت بيته بعد انتهاء اللقاء والقذائف وشظاياها تنزل على المدينة كالمطر وازيزها يصك مسامعي والمسافة الى داري تحتاج الى ثلاثة ارباع الساعة بالسير الحثيث، وكنت قد تركت دراجتي الهوائية ـ التي كانت وسيلتي للتنقل يومئذٍ بعد خلو الشوارع من السيارات الا قليلاً بسبب نقص الوقود الناتج من قصف الحلفاء ـ قرب الصحن الشريف عند ما رافقت السيد الى بيته، وكثيراً ما أخذت وضع الانبطاح على الارض عند سماع ازيز القذائف.

وفكرت بالاسماء التي يمكن ان تساعدني في هذه اللجنة وعرض الأمر عليهم الا ان القصف اشتد بشكل منع من الحركة واستمر الأمر كذلك صباح اليوم التالي وانا مهتم بتنفيذ الأمر

فاستخرت الله تعالى في ان اقصد احدهم فكانت النتيجة غير جيدة ولم اكن اعلم ان السر في ذلك اعتقال السيد الشهيد الصدر قدس سره ووأد القيادة الجديدة في مهدها فقد دخل الجيش مدينة النجف من جهة شمال الشرق يوم الخميس (٣/١٤) واسترجع المراكز الرئيسية على شارع الكوفة ووصل الى جامعة النجف الدينية حيث كان السيد وعائلته مع السيد محمد كلانتر وعائلته وبعض طلبة الجامعة يختفون في السرداب تحاشياً للقصف واعتقلوا جميعاً وسيقوا الى منطقة الرضوانية في الضواحي الشمالية الغربية لبغداد حيث خصصت لاحتواء (المعارضة) وكان وفد السيد ومن معه أول الداخلين الى المعسكر المخصص لاعتقال القادمين من النجف اما المعسكر المعد لأهالي كربلاء فقد كان يغصّ بالمعتقلين ـ هكذا نقل لي قدس سره ـ.

وفوجئت ظهر الخميس وانا استمع الى الراديو بالمذيع يجري لقاءً مع السيد الصدر وتوقعت انه لقاء قديم اعلنوه للتمويه على المجاهدين الذين لا يزالون يقاومون حول بيت السيد الخوئي وقد حفروا الخنادق ووضعوا المتاريس لمواجهة القوات المهاجمة كما ان الصحن الحيدري وشيئاً من مركز المدينة كان لا يزال تحت سيطرة المجاهدين ولكنني لما انصتُ اليه وجدته جديداً فعلاً

ويذكر احداث البارحة (ظهر الاربعاء) ويسأله المذيع عنها.

ولم تنته المقاومة الا يوم الأحد (٣/١٧) بعد ان هددوا باستعمال الغازات السامة في مركز المدينة وهددوا السيد الخوئي ان استمرت المقاومة حول داره فطلب من المجاهدين التفرق عن الدار وايكال الأمر الى مدبره الحقيقي وكنت أرى من سطح الدار الطائرات السمتية (الهليوكوبتر) وهي تحوم حول منطقة بيت السيد الخوئي والصحن الحيدري وترمي بصواريخها.

وليس هذا محل ذكر ما حل بالمدينة واهلها من فضائع، اما السيد فقد اخبرني انه أُجري اللقاء التلفزيوني معه وهو بين مجموعة من الضباط بعضهم برتب عالية ثم حققوا معه وسجلوا بيانات كثيرة وأملوا صحائف عديدة وبعد ايام اطلقوا سراح السيد فطلب منهم امرين:

احدهما: اعفاء اولاده من الخدمة العسكرية.

وثانيهما: اطلاق سراح جميع من اعتقل معه ففعلوا ذلك الا (الشيخ طالب اللبناني) حسبما علمت.

وكانت نقطة القوة للسيد في التحقيق انه مجتهد مستقل وليس تابعاً للسيد الخوئي فهو ليس مشاركاً في قيادة الانتفاضة كما انه رفض الانضمام الى اللجنة التي شكلهاقدس سره وكل هذه

المعلومات انقلها عنه قدس سره بعد زيارتي له وفرح كثيراً بسلامتنا انا وابن عمي الشيخ حيدر وزيد وقد عبّر باسى عن ايام الانتفاضة قائلاً: بان الذين حولي لم يكونوا مخلصين الا اثنين وهما: زيد البغدادي ومحمد اليعقوبي.

وبعد استقرار الوضع لصالح النظام طلبوا من المحافظات ان ترسل وفوداً الى بغداد للاعتذار من (صدّام) وتجديد الولاء فاجبر السيد على ان يكون ضمن وفد النجف ولم يجد بداً من الموافقة فقد كانت حياته على خطر شديد وهو مدان في نظرهم بما اصدر من بيان وخطاب لنصرة الانتفاضة.

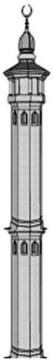

الفصل الخامس

المشروع السياسي للسيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره)

المشروع السياسي للسيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره [1]

تعريف المشروع السياسي:

س ١: ونحن نعيش ذكرى استشهاد السيد محمد محمد صادق الصدر قدس سره نود أن نتحدث عن موضوع المشروع السياسي للسيد الشهيد الصدر الذي هو خافٍ عن الكثيرين نسأل هل كان للسيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره مشروع سياسي باعتباركم كنتم قريبين من سماحته منذ منتصف الثمانينات؟

ج: بسم الله الرحمن الرحيم، من الواضح أن للسيد الشهيد الصدر قدس سره مشروعاً سياسياً أو على الأقل له عمل سياسي وهذا ليس خافياً على أحد، نعم قد تكون معالمه أو تفاصيله خفية، أما أصل الموضوع فهو ثابت وقد دفع حياته الشريفة وحياة ولديه ثمناً لهذا النشاط وقد أثمر مشروعه المبارك في نخر كيان صدام

(١) تقرير بتصرف للحوار الذي أجرته قناة العراقية الفضائية مع سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) يوم الجمعة ٢/محرم/١٤٢٩ المصادف ٢٠٠٨/١/١١ وعُرض في الذكرى التاسعة لاستشهاد السيد الصدر الثاني قدس سره يوم ٢٠٠٨/٢/١٩.

وزمرته بحيث عاد خاوياً متهالكاً سقط في أول صفعة وُجهت له ٢٠٠٣م.

ولكي نفهم مشروعه السياسي علينا أن نعرف معنى هاتين المفردتين (المشروع والسياسة) فأنني اسمع أنهم يعرّفون السياسة بأنها فن الممكن وهذا التعريف غير دقيق فان الإنسان لا يستطيع أن يأتي إلا بالممكن في جميع حقول الحياة وليس في الحقل السياسي فقط، لذا فأنني اعرّف السياسة بأنها (فنّ رعاية المصالح العامة) وهذا التعريف ينطبق على معنى السياسة في الإسلام باعتبار أننا نخاطب الأئمة المعصومين عليهم السلام بأنهم (ساسة العباد) أي أنهم الراعي الأول لمصالح العباد، وينطبق على معنى السياسة عند العلمانيين الذين يقولون (لا توجد صداقات ثابتة ولا عداوات ثابتة وإنما توجد مصالح ثابتة).

نعم يختلف هذا التعريف بين المعسكرين في تفاصيله ومتعلقاته فالمصالح التي ترعاها السياسة الإسلامية هي مصالح العباد والبلاد من دون تفريق بين أحد وآخر مهما كان دينه وقوميته ولونه وجنسه بينما المصالح عند السياسة غير الإسلامية هي المصالح الشخصية والفئوية.

ويختلفان مثلاً من حيث الأُطر المحددّة لآليات العمل

والبرامج فالسياسي الإسلامي يؤمن بمبادئ ثابتة لا يتجاوزها مهما كانت النتائج لأنه يعتقد بوجود الآخرة والحساب على الأعمال بين يدي الله تبارك وتعالى، ولا يمكن أن يفرّط بآخرته من اجل دنيا زائلة، وقد شرحنا هذه المبادئ في خطاب (المبادئ الثابتة في السياسة)، بينما السياسي الآخر لا يتحدد بمبادئ وإنما يؤمن بالميكيافيلية وان الغاية تبرر الوسيلة والوقائع الكثيرة تشهد على أنهم لم يتورعوا عن إزهاق ملايين الأرواح وتدمير الحياة من اجل إشباع نزواتهم وإتباع أهوائهم وشهواتهم.

أما (المشروع) فيعني البرنامج الذي يضع لنفسه أهدافاً يسعى لتحقيقها وآليات يتبعها للوصول إلى ذلك الهدف فلا مكان فيه للعقوبة والارتجالية والتصرفات غير المحسوبة.

وحينئذ أقول في الجواب أن السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره لم يكن يصرّح أو يستطيع التصريح بأن له مشروعاً منتظماً للوصول إلى أهداف محددة وكان يكتفي بالعموميات ويخفي مراده أحياناً ما بين السطور، لان السلطة المعروفة ببطشها وقسوتها ستقضي على مشروعه وهو في المهد لان أي عمل منظم تشعر بأن فيه تهديداً لكيانها ولو كان باحتمال ضئيل جداً فأنها تفتك به حيث كان صدام يقول (إنني اقتل عشرة ألاف من دون أن يرفّ لي جفن) وإنما

صَبَرت السلطة زمناً ما على حركة السيد الشهيدقدس سره لأنها تعتقد فيها أنها حركة عفوية عاطفية غير منتظمة في مشروع، وقد تعمّد السيد الشهيدقدس سره إيقاعها في هذا التصور حينما سُئل في بعض لقاءاته المسجّلة عن خطوته اللاحقة قال (أنني لا اعلم ماذا أفعل غداً، وكل ما في الأمر انه عندما يأتي الغد أجد نفسي مقتنعاً بأن أقوم بفعل ما) وهوقدس سره يعلم ان هذه الكلمات تصل إلى السلطة لأنها تتابع بدقّة ما يصدر عنه من كلمات وخطب ومنشورات وتحللها.

قيادة الحركة الإسلامية في ظل البطش الصدامي:

س٢: هنا يتبادر الى الذهن سؤال كيف استطاع سماحة السيد الشهيد أن يبدأ بمشروعه السياسي حتى وإن كان بشكل غير مباشر في ظل وجود سلطة ونظام قمعي سيما وان سماحته كان معتقلاً عند الأجهزة القمعية حيث كان مراقباً ومحاصراً؟.

ج: أظنّك تقصد اعتقاله في الانتفاضة الشعبانية في آذار/١٩٩١ وهو ليس اعتقاله الوحيد فقد اعتقل عام ١٩٧٤ في مديرية امن الديوانية ضمن حملة شملت الكثير من طلبة السيد الشهيد الصدر الأولقدس سره ومكث فيها حوالي أسبوعين وقد تحدث

لي في بعض رسائله عمّا جرى له، هذا مضافاً إلى الإقامة الجبرية التي فرضت عليه عدة سنوات في الثمانينات، وهذا كله لتأكيد كلامك عن قساوة الظروف المحيطة بالسيد الشهيد قدس سره ومعرفته الجيدة بها لطول معاناته منها لذا فقد تطلبت حركته الكثير من الحكمة حتى يكسب اكبر مدة زمنية تمكّنه من تحقيق أفضل النتائج.

ولا شك ان لطف الله تبارك وتعالى كان يرعاه ويحفظه وسلّمه من تلك المحن إذ لم يتبق في داخل العراق من طلبة السيد الشهيد الصدر الأول قدس سره المعروفين والمؤهلين لمواصلة مسيرته المباركة إلا هو، وما دام قد ادّخره الله تبارك وتعالى لهذا الدور فلابد أنه سيحظى بلطف ورعاية إلهية خاصة.

وقد استطاع قدس سره بحكمته ونظرته الثاقبة أن يتعرف على واقع السلطة القائمة وما تفكر به والأساليب التي يمكن اتباعها من دون استفزازها، وعرف الكثير منها أيضاً خلال استجوابه في معتقل الرضوانية بعد الانتفاضة وحقق معه عدد من كبار الضباط. كما نقل لي قدس سره وعرف من خلالها السياسة الجديدة التي سيتبعها النظام مع المرجعية والحركة الإسلامية وعموم علاقته بالشعب العراقي، والتي بدت واضحة على تصرفات النظام مع المرجعية والحوزة العلمية

والشباب المؤمنين خلال التسعينات.

لذا استطاع قُدِّسَ سِرُّه أن يسحب البساط بهدوء من تحت النظام ويفقده قدرته على السيطرة على ضبط الجماهير إلى أن تفاجأ النظام بحركته وقرر قراره المشؤوم، وقد جمعني به قُدِّسَ سِرُّه لقاء خاص بعد أيام من الزيارة الشعبانية التي دعا الجماهير فيها إلى السير مشياً إلى كربلاء واندفع المؤمنون بحماس بالغ مما دعا النظام إلى تهديده بالقتل، فسحب الأمر عشية اليوم الذي كانت مدينة الصدر ومناطق أخرى من بغداد قد عقدت العزم على التوجه فيه بشكل مواكب بالآلاف إلى كربلاء وهو يوم الثلاثاء ١١/شعبان/١٤١٩، وقلت له في ذلك اللقاء أن هذه الحركة رافقتها فعاليات تصعيدية في مواجهة النظام مما يستفزّه ويدفعه إلى اتخاذ قرارات قاسية، والأجدى الاستمرار بالطريقة الهادئة في سحب البساط من تحتها، وأن منبر الجمعة وحده كافٍ لتقويض أركان النظام، قال قُدِّسَ سِرُّه: (نعم وقد سحب البساط من تحته بنسبة ٧٥٪، ولكنني لست مسؤولاً عن هذه التصعيدات فإنني لم أأمر بها) وكان مقترحي أن لا يخرج أبناء بغداد على شكل تجمعات ضخمة لأن ذلك يقلق النظام ويفشل المشروع فلو خرجوا على شكل مجاميع صغيرة وقد شرح قُدِّسَ سِرُّه مبرر خروجهم في مواكب ضخمة وبصراحة فقد كنت أعتقد أن النسبة

التي قالهاقدس سره مبالغٌ فيها.

استثمار نتائج الانتفاضة الشعبانية المباركة:

س٣: هل افهم من كلام سماحتكم ان السيد الشهيدقدس سره استثمر التغيير الحاصل في سياسة النظام أبان الانتفاضة الشعبانية؟

ج: نعم فقد أفرزت الانتفاضة عدة نتائج مهمة من كسر حاجز الخوف والرعب الذي كان يملك بها النظام نفوس الناس أكثر من مؤسساته ورجاله، وأثمرت الانتفاضة شجاعة كبيرة لدى الشعب، وازدهر التوجّه الديني وأصبحت النجف الأشرف والحوزة العلمية ومكاتب المرجعية تشهد إقبالاً واسعاً من الناس، وتصاعد الوعي الإسلامي وتداول الكتب والنشرات بما فيها الممنوعة التي كانت تستنسخ سراً، وهذه العوامل وغيرها دفعت النظام إلى ان يغيّر سياسته مع الحركة الدينية على الصورة التي تعامل بها مع الحركة إبان مواجهتها للسيد الشهيد الصدر الأولقدس سره فتغيّر سياسة النظام ليس لأنه تغيّر في نفسه وإنما اضطر لمجاراة الوضع الجديد الذي تميّز بانطلاقة قوية وواسعة للحركة الدينية.

المرجعية والعمل السياسي:

س٤: المعروف إجمالاً في الأوساط الحوزوية عدم تدخل

المرجعية في الشؤون السياسية وعادة ما تنأى الحوزة العلمية نفسها عن الأوساط السياسية، فما الذي دفع السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره لممارسة دور سياسي والخروج عن هذا التقليد المتعارف.

ج: أفهم من كلامك أنك تجعل القاعدة في تصرف المرجعية والحوزة العلمية هو الابتعاد عن السياسة والشؤون العامة بحيث تكون ممارستها استثناءاً، والصحيح هو العكس فان الأصل في الشريعة الإسلامية أن يتصدى العلماء لرعاية شؤون الأمة وعلى رأسها ممارسة الدور السياسي، وأن الاستثناء هو التخلي عن هذا الواجب فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام أكمل القادة والسياسيين، ونَصِفُ المعصومين عليهم السلام في زيارة الجامعة الكبيرة بأنهم (ساسة العباد) وفي الروايات (المتقون سادة والفقهاء قادة) وفي الأحاديث الشريفة أيضاً ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ومن سمع رجلاً ينادي: يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم».

وقال السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره في بعض خطبه التي أثنى فيها على (الحوزة الناطقة) ويعني بها الحوزة المتحركة والتي لها شعور واسع بالمسؤولية تجاه كل شؤون المجتمع، قال فيها أن

النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام هم من الحوزة الناطقة، وقد تميّز في تاريخ المرجعية الدينية خطابان: أحدهما يمثل الحوزة الناطقة التي انهمكت في العمل السياسي النقي الصالح إضافة إلى مسؤوليتها العلمية والدينية والاجتماعية وثانيها الذي انغلق على نفسه واكتفى بالشؤون العلمية والفتوى، وكان السيد الشهيد يعلن انتماءه إلى الخط الأول كأستاذه الشهيد الصدر الأول قدس سره والسيد محسن الحكيم والميرزا النائيني الذي آزر أستاذه الآخوند الخراساني في حركة الدستور المعروفة بالمشروطة أوائل القرن الماضي.

وقال لي مرة في بعض رسائله انه قال لأستاذه الشهيد الصدر الأول قدس سره أن المحقق الحلي (وهو من أعاظم فقهاء الشيعة كان في القرن السابع الهجري في مدينة الحلة ويُدَرَّس كتابه شرائع الإسلام في الفقه إلى الآن) كان من العلماء الواعين ـ وهو تعبيره السابق عن الحوزة الناطقة ـ فأيّده الشهيد الصدر قدس سره في ذلك.

فحينما تسأل عن دوافع الشهيد الصدر لممارسة هذا الدور فلأنه من صميم مسؤولياته التي يؤمن بها ويرى لزوم القيام بها قال أمير المؤمنين عليه السلام «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم أو سغب

مظلوم» إلى آخر الكلام.

فالقيام بهذا الدور أمانة في أعناق العلماء، مضافاً إلى عوامل أخرى أثّرت في شخصيته ودفعته في هذا الاتجاه ومنها:

١. تأثره بأستاذه الشهيد الصدر قدس سره واهتمامه باقتفاء أثره في كل شيء.

٢. إن الإصلاح الواسع الذي كان يريد إحداثه في حياة الأمة لم يكن ممكن التحقيق والتأثير في الأمة إلا بالانخراط في العمل السياسي وتحدي السلطة وتنبيهها إلى المظالم التي ترتكبها.

٣. طيبة قلبه وحبّه الخير لجميع الناس وقوة قلبه في نفس الوقت مما جعله لا يقرّ له قرار حتى يبذل كل ما في وسعه لإنصاف المظلومين ومساعدة المحتاجين ونصرة المحرومين.

وكان يدعو الناس إلى التأكيد على صفة طيبة القلب وقضاء حوائج المؤمنين وإنفاق الأموال على مستحقيها لا (فيافي بني سعد) في المرجعية التي يتّبعونها بعد إحراز الاجتهاد والعدالة طبعاً وكان يركّز على هذه الصفات في البديل الذي يخلّفه.

ولرحمته الكبيرة فقد خاطب جميع شرائح المجتمع حتى الغجر في خطبته الأخيرة في الجمعة التي استشهد فيها.

ما الذي دفع الناس إلى اتباع السيد الشهيد الصدر قدس سره:

س٥: عذراً للمقاطعة سماحة الشيخ ، هل أن ما تفضلتم به من البساطة في المعيشة والتعامل مع الجماهير هو الذي دفع الكثير من الجماهير أن تؤمن بفكر السيد الشهيد الصدر قدس سره حيث التفّت الأوساط الشعبية حول مرجعيته وبدأت تتفقه في الدين؟

ج: هذا أحد الدوافع؛ لأن الشرائح التي آمنت بحركة السيد الشهيد قدس سره واتبعته متنوعة وكلٌ منها ينطلق من فهمه الخاص له قدس سره فالحوزة العلمية رأت فيه العالم المبدع وكان درسه في الأصول مما يحتج قدس سره به لإثبات أعلميته ورسالته العملية في الفقه، والمثقفون والمفكرون اتبعوه لما لمسوا فيه من فكر خلاّق وقدرة على الدراسة والتحليل والموسوعية، والطبقة العامة أمنت به لمواساته لهم ودفاعه عنهم وسعيه المخلص لإصلاح حالهم في الدنيا والآخرة، والسياسيون عقدوا عليه الآمال لأنهم وجدوا فيه المشروع الحقيقي لإزالة الطاغوت.

معالم المشروع السياسي للسيد الشهيد الصدر:

س٦: ما هي معالم المشروع السياسي الذي تبناه السيد الشهيد الصدر قدس سره ؟

ج: يمكن أن نذكر على نحو الاختصار جملة من المعالم

العامة لمشروعه السياسي

١. إنه مشروع إسلامي يستند إلى الإسلام في قراراته وآليات عمله والمبادئ التي تؤطر حركته فلا مجال فيه للبراغماتيه المحضة المتجردة من المبادئ.

٢. إنه وطني فلم يقتصر في خطابه على أتباعه ولا على الشيعة فقط. بل وجّه خطابه إلى أبناء السنة وأمر بإقامة صلوات الجمعة الموحّدة وخاطب كل شرائح المجتمع بغضّ النظر عن انتمائهم والمتابع لخطبه يجد الكثير منها مخصصّة لشرائح معينة وكان آخرهم الغجر الذين وجّه لهم خطاب الإصلاح والهداية في الجمعة التي استشهد في مسائها وفي تلك الخطبة عدّد الشرائح التي خاطبها.

وحينما نقول إن مشروعه وطني فهذا لا يعني الانغلاق على بلده العراق فقط لأن رسالة الإسلام عالمية ولكن المتاح له كان ذلك مضافاً إلى أن المشروع الإسلامي العالمي لابد له من حاضنة وقاعدة يستند إليها وينطلق منها كما كانت المدينة المنورة قاعدة انطلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وستكون الكوفة عاصمة الدولة العالمية المباركة التي يقيمها الإمام الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٣. الجماهيرية وإشراك عامة طبقات الشعب في الحركة فلم

يقتصر في خطابه ومشروعه على النخب بل تحدّث إلى جميع الناس مباشرة خصوصاً بعد إقامة صلاة الجمعة.

٤. أصالة المرجعية الدينية وهذه نقطة مهمة إذ يوجد خلاف بين السياسيين الإسلاميين حاصله أنه من هو الأصل ولمن مرجعية القرار هل للمرجعية الدينية ويكون دور الحزب التنفيذ والعمل ضمن توجيهات المرجعية أم أن الأصل هو الحزب فهو الذي يقرر وينفذ ويكون دور المرجعية تقديم النصائح غير الملزمة.

وكان قدس سره يعيش تجربة مرة من بعض الأحزاب الإسلامية الشيعية التي تأسست برعاية المرجعية ثم خلفتها وراء ظهرها وأعطت لنفسها الحق في القيمومة على آراء المرجعية.

ولإعادة العمل السياسي الإسلامي الى مساره الصحيح فقد أصّل قدس سره للرجوع الإلزامي إلى المرجعية الدينية ورسّخ هذه الثقافة وكانت كلمته المشهورة (لا تقولوا قولاً ولا تفعلوا فعلاً إلا بالرجوع إلى الحوزة العلمية) وهو قدس سره لا يقصد بالحوزة كل من وضع العمامة على رأسه ودرس بعض العلوم وإنما يريد بها المرجعية الدينية المتمثلة بالمجتهد العادل العارف بشؤون زمانه لذا وصف في بعض كلماته الشخص الذي يقود الناس وهو ليس بمجتهد بـ(الكحف) وهو قشر الفاكهة الذي يرمى مع الفضلات.

وقد بنى تأصيله هذا على ما نؤمن به من الآخرة والحساب ومسؤوليتنا أمام الله تعالى والتي لا يحق لأحد النظر فيها واستنباط أحكام الحالات المختلفة من مصادر التشريع الإسلامي الأصلية والإنسان قبل أن يكون سياسيا هو شخص مكلّف أمام الله تبارك وتعالى بواجبات وعليه حقوق.

وحتى على المقاييس الطبيعية فان المرجعية هي أولى الناس بالقيادة لاكتمال صفاتها فيها، فمن حيث العلم بالقانون المنظم للحياة تمثل المرجعية أرقى درجاته بحصول ملكة الاجتهاد وقضاء عشرات السنين في البحث والتدريس والتأليف والحوارات العلمية، ومن حيث النزاهة فهي في أعلى درجات ضبط النفس وكبح شهواتها وملك زمامها والورع والزهد الذي نسميه بـ(شرط العدالة)، ومن حيث الخبرة فان المرجعية تمضي عشرات السنين في التحرك في أوساط المجتمع والاتصال بكل طبقاته وتلقي أنواع المشاكل والمقترحات والمشاريع والأفكار، فما الذي يمنع السياسيين من أعطاء المرجعية دورها الذي تستحقه؟

ولكي يطمئن السياسيون ونزيل مخاوفهم من تدخّل المرجعية في تفاصيل عملهم نقول: إن المرجعية تعرف المساحة التي تتحرك فيها والمساحة التي تتركها للآخرين لأنها لا تدعي

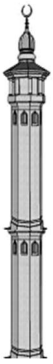

المعرفة بكل شيء ولا أنها محيطة بكل التفاصيل كما ورد في الحديث «رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه حتى لا يوردها موارد الهلكة».

النشاطات السياسية للسيد الشهيد الصدر قدس سره:

س٧: ما هي أبرز النشاطات والفعاليات التي قام بها سماحة السيد الشهيد قدس سره لتكون مصاديق لمشروعه السياسي؟

ج: إذا أردنا أن يكون الجواب أكثر فائدة فتقسم هذه الفعاليات إلى مراحل:

الأولى: في حياة أستاذه الشهيد الصدر الأول قدس سره وقد اختصرها قدس سره في بعض رسائله لي بأن عمله هو أتباع السيد الشهيد الصدر الأول قدس سره فيما يقول ويفعل ويوجّه، واعتقل خلال هذه المرحلة عام ١٩٧٤ في مديرية أمن الديوانية حوالي أسبوعين، لكنه لم ينتمِ إلى (حزب الدعوة) وقال قدس سره في سبب ذلك: أنني وجدت الحياة التي يجسدها المتحزبون فيها (أنانية حزبية) فما الذي جنيناه أذن حين نخرج من أنانية الفرد ونقع في أنانية الحزب.

وحينما سألته في بعض الرسائل عن عدم قيامه بدور قيادي بارز عند تصاعد حركة السيد الشهيد الصدر الأول قدس سره في نهاية

السبعينات فأرجعه إلى أمرين:

أ- تأثير والده المرحوم السيد محمد صادق الصدر قدس سره عليه والذي كان له تأثيره حتى على الأول قدس سره.

ب- انصرافه يومئذ إلى تهذيب نفسه وأتباع منهج أهل العرفان فابتعد عن الانهماك في العمل الاجتماعي الواسع.

الثانية: عقد الثمانينات: حيث انزوى في بيته بعد استشهاد أستاذه الصدر قدس سره ولم يكن يخرج إلا لضرورة وبعد أن شنت حملة جائرة لاعتقال السادة آل الحكيم عام ١٩٨٣ وكان جاره واحداً منهم واستشهد لاحقاً وضع جلاوزة الأمن نقطة مراقبة عند باب داره فتكثَّف عمله بالتقية حتى وصفها في بعض رسائله بأنها اشد من التقية التي عاشها الإمام الحسن السبط عليه السلام وبقي في الإقامة الجبرية حتى حصل انفراج نسبي عام ١٩٨٧ ثم كان الفرج أوسع بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٨ وعاد إلى نشاطه العلمي وبدأ بالتدريس في جامعة النجف الدينية.

الثالثة: دوره في الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ وقد شرحته مفصلاً في كتابي (الشهيد الصدر الثاني قدس سره كما اعرفه) حين بايعته قيادة الانتفاضة مرشداً للثورة الإسلامية المباركة (بحسب وصفه قدس سره في خطابه الذي وجهه للجماهير في الصحن الحيدري

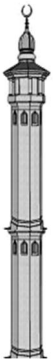

الشريف) في اليوم الأخير قبل بدء هجوم قوات الحرس الجمهوري على المدينة واعتقل على أثرها في معتقل الرضوانية ببغداد ثم أفرج عنه. وقد خرج من هذه التجربة بنتيجة مؤلمة وهي أن الأمة ما زالت بحاجة كبيرة إلى تربية روحية حتى عبّر بأنه لم يكن معي من المخلصين إلا اثنان.

وأنه قدس سره بحاجة إلى البدء بمشروع إصلاحي يهدف إلى بناء المجتمع الصالح وبدونه يكون السعي لإسقاط النظام عبثاً ومن كلماته في بعض الرسائل (إن الجهاد الأصغر ــ أي حمل السلاح في مواجهة الطواغيت ــ لا يكون منتجاً إلا إذا اقترن بالجهاد الأكبر ــ أي مجاهدة النفس وإصلاحها).

ومثل هذه النتيجة خرج بها السيد الشهيد الصدر الأول قدس سره في نهاية حياته حينما قال: ــ بحسب رواية السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره ــ (إننا استطعنا أن نربي الناس إلى نصف الطريق ولم نكمل النصف الآخر) ويفسرها الثاني (النصف الأول بتربية عقولهم بالعلوم المعمقة من دون تربية نفوسهم وتطهير قلوبهم من حب الدنيا واستهداف ما سوى الله تبارك وتعالى.

الرابعة: مرحلة تصّديه للمرجعية بعد الانتفاضة والتي نفّذ فيها مشروعه الإصلاحي المشار إليه وتصاعد فيه حتى بلغ الذروة

في مواجهة النظام من خلال منبر الجمعة وأدت إلى استشهاده يوم ١٩٩٩/٢/١٩، وكان خلاله يأخذ بيد المجتمع ليرتقي به في سلم الكمال، وفي جوابه عن إحدى رسائلي وصفت فيها تقنين الفقهاء لمسألة أخذ الفوائد المصرفية بأنها حيلة شرعية منافية لروح الإسلام وان كانت بحسب الظاهر على طبق القواعد والمفروض بالفقهاء أن ينشئوا البديل وهو المصرف الإسلامي الذي لا يتعامل بالربا وغيرها من المعاملات المحرمة فكان مما قال في جوابه مؤيداً (إننا يجب أن نرفع مستوى الواقع إلى مستوى الشرعية وليس بأن ننزل مستوى الشريعة إلى مستوى الواقع وتكييفها معه.

الطعنات من الخلف:

س٨: هل كان سماحة السيد يحظى بتأييد من أوساط دينية أو سياسية داخل الحوزة وخارجها؟

ج: استطيع أن أقول بكل أسف: لا فقد كان موقفهم سلبياً ومعادياً واتخذ أشكالاً متعددة من الأساليب الخبيثة

س: السبب ؟

ج: ليست الأسباب إلهية صحيحة طبعاً، ولو كان هدف الجميع مخلصاً لله تبارك وتعالى لاتحدوا واجتمعوا على طاعته، أما

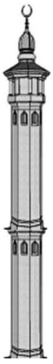

الجهات الدينية فلأنها ترى في مرجعيته الصاعدة والآخذة بالاتساع مزاحماً لسلطتها التي تعتقد أنه حق خالص لها، وبهذا الصدد قال بعض ذيول أحدى المرجعيات (مالهم ينازعون الناس سلطانهم) أي ما للسيد الصدر قدس سره ينازع الناس الذوات الذين يجب أن تبقى المرجعية منحصرة فيهم هذا السلطان؟

وهذه نظرة أنانية جاهلية استعلائية قديمة، فقد كان الأمويون المحدقون بالخليفة الثالث يرون في ء المسلمين حقاً خالصاً لهم وأنّه بستان قريش لا يجوز لأحد منازعتهم فيه، وأن السلطة قميص ألبسهم الله تبارك وتعالى إياه وغيرها، أما نظرة الشريعة فان المرجعية مرتبة شريفة لها شروط فمن توفّرت فيه كان أهلاً لها مهما كان جنسه وقومه.

وأما الجهات السياسية فلانكشاف زيفها وإنها تتاجر بمظلومية الشعب العراقي وما يتعرض له من بطش من جلاوزة صدام فقد سحب البساط من تحت أرجلهم ولاح لكل مراقب ان السيد الصدر قدس سره هو الذي يقود المعارضة الحقيقية للنظام وجها لوجه داخل العراق وأنه يقوّض أركان النظام تدريجياً، فبدأت القوى المخلصة في إحداث التغيير تلتف حوله وتعرض عليه الاشتراك معه أما أصحاب الدكاكين البائسة فقد كسدت بضاعتهم

وكانوا يرون في السيد الصدر كابوساً يجثم على صدورهم فوجهوا سهام غدرهم إليه وكشفوا ظهره للنظام وطوقوه وحاصروه وتركوه وحيداً في مواجهة النظام.

وحينما أحس السيد الصدر قدس سره بعزم النظام على تصفيته فكّر بحماية نفسه من خلال توسيع مرجعيته خارج العراق وجعلها عالمية لإحراج النظام ومنعه من الإقدام على الجريمة فأرسل وفداً فيه المرحومان الشيخ علي صادق والشيخ محمد النعماني إلى عدد من الدول الإسلامية القريبة والمجاورة لكن الوفد جوبه بامتعاض شديد ورفض إهانة، وافتتح له مكتباً في الجمهورية الإسلامية ووجه في حفل الافتتاح خطاب صداقة وتأييد إلى القيادة والشعب الإيراني ولكن مكتبه أغلق بعد ثلاثة أيام فقط بسعي نفس الجهات.

وكان قدس سره شديد التألم من الحرب التي شُنّت عليه بهدف تسقيطه وإنهاء شرعيته بالكذب والافتراء وتوظيف الأبواق المأجورة وكان يقول عن تلك الفترة (تحملتها بأعصابي) ويقول (إن الوحيد الذي نصرني أيام الشدة الشيخ محمد اليعقوبي) وفي آخر أيامه كان يقول عن تلك الفترة (إنني لا أستطيع أن أثبت براءتي إلا بدمي) وكان يصف حرب الزعامات بأنها حرب قذرة لأنهم لا يقولون ما هو فيك بل يقولون ما ليس فيك.

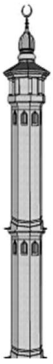

وقد ألفت عدة كتب في أرشفة تلك الحرب وتدوين فصولها والله المستعان على ما يصفون.

لماذا أجل السيد الشهيد تصعيد المواجهة مع النظام؟

س٩: تحدثتم قبل قليل أنه قدس سره آجل المواجهة مع النظام في بداية مشروعه السياسي وفي بداية ظهوره وتصديه للمرجعية.

السؤال الذي يطرح نفسه لماذا آجل سماحته قدس سره المواجهة مع النظام فلما ظهر كانت إستراتيجيته أن لا يواجه النظام بشكل مباشر لكن بعد صلاة الجمعة التي أقيمت في معظم مناطق العراق يعني هكذا يفهم البعض انه سماحة السيد قدس سره أصبح في مواجه مباشرة مع النظام السابق من خلال مطالبته بالخدمات العامة من خلال مطالبته بإطلاق سراح المعتقلين ومن خلال مناداته ومن خلال توجيهاته إلى جميع شرائح المجتمع حتى أنه في الخطبة الأخيرة يعني وجه كلامه إلى الغجر. فلماذا انتقل من إستراتيجية عدم المواجهة مع النظام إلى إستراتيجية المواجهة بعد صلاة الجمعة؟

ج: قلنا إنه قدس سره واجه النظام بأعلى صور المواجهة فقد قاد الانتفاضة، اعني أنهم بايعوه على قيادتها لكنه لم يمهل إلا يوماً

واحداً، فهوقُدِّسَ سِرُّهُ خاض هذا المستوى من الاصطدام إلا أنه خرج بالنتيجة التي ذكرناها وغيّر تكتيكاته في العمل وبدأ بنمط جديد من العمل لكن الأهداف بقيت واحدة.

وربما كان وراء هذا التريث هدف آخر يفهمه كل قائد وصاحب مشروع إصلاحي، فإنه ما لم يطمئن إلى وجود البديل القادر على مواصلة المشروع وإتمامه بأحسن وجه لا يصعّد مسيرته ويعرّض نفسه للهلاك خوفاً على مشروعه أن يفشل وليس خوفاً على حياته وإن كانت الأعمار بيد الله تبارك وتعالى يقيناً، وهذا ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير خوف كليم الله موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ. وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ. وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ (﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ. وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ (القصص:٣٣-٣٤).

فقد ورد بأن خوفه عليه السلام كان من قتله مباشرة قبل أن يقوم بالتبليغ ويطمأن إلى وجود الخليفة الذي يواصل حمل الرسالة فاستجاب له تبارك وتعالى وشدّ عضده بأخيه هارون ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾

(طه:٢٩-٣٢).

وفي رسالة الإسلام كان إكمال الدين وإتمام النعمة وإقرار عين النبي محمد صلى الله عليه وآله بنصب أمير المؤمنين عليه السلام إماما وهادياً وخليفة من بعده.

لذا تحدث السيد الشهيد الصدر قدس سره في أكثر من مناسبة عن (البديل المماثل) الذي يُعِدّه، ولما صرّح باسمه في لقائه بطلبة جامعة الصدر الدينية يوم ٥/جمادي الثانية/١٤١٩ أي قبل استشهاده بخمسة أشهر (الآن أستطيع أن أقول إن المرشح الوحيد من حوزتنا هو جناب الشيخ محمد اليعقوبي إذا كان الله أمد لي في العمر إلى وقت شُهد باجتهاده، فانا لا أعدو عنه هو الذي ينبغي ان يمسك الحوزة بعدي) صعّد من حركته في الزيارة الشعبانية وما بعدها ومضى سعيداً إلى الشهادة التي اختارها الله تبارك وتعالى.

التصدي للمرجعية أساس الانطلاق في المشروع الإسلامي:

س١٠: كيف هيّأ السيد الشهيد قدس سره لمشروعه السياسي اجتماعياً؟

ج: كانت الركيزة الأساسية لمشروعه والتي انطلق منها هي عرض مرجعيته لأنه يعتقد ـ وهو الصحيح ـ بأن قمة هرم المشروع

يجب أن يكون مجتهداً جامعاً لشروط المرجعية، وأي طرح غير مرجعي لا يمكن أن يكون صحيحاً، ومن بعد ذلك يمكن التفكير بالآليات المناسبة للعمل السياسي من تأسيس حزب أو حركة شعبية أو مؤسسات ونحوها.

وتصديه للمرجعية لم يكن بدوافع دنيوية كحب الجاه والقداسة والاستعلاء على الناس وجمع الثروة وغيرها وإنما كان لتأصيل الحركة وتثبيت شرعيتها، وإلا فانه لم يكن يفكّر قبل ذلك في المرجعية، ومن الشواهد على ذلك انني عرضت عليه في إحدى مراسلاتي بتأليف ما سميته (الفقه الشامل) وتحديث كتب الفتاوى للفقهاء لتكون شاملة لشؤون الحياة، فكان ردّه الاعتذار والسبب كما قال قدس سره لأنني لا أحتمل بقائي حياً إلى حين تحقق الفرصة للمرجعية ورجوع الناس إليَّ. مع أهليته لذلك فإنه كان يعتقد ببلوغه درجة الاجتهاد ومنذ العام ١٩٧٧ في حياة أستاذه الشهيد الصدر الأول قدس سره.

الفصل السادس

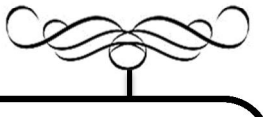

ليلة الالتحاق بالملأ الأعلى

ليلة الالتحاق بالملأ الأعلى

تطويق النجف:

اعتادت الحوزة والمتشرعة الذهاب الى كربلاء ليلة الجمعة لزيارة مرقد الإمام ابي عبد الله الحسين عليه السلام لما فيها من الفضل العظيم وكُنا ممن وفقهم الله تبارك وتعالى لهذا الالتزام الشريف فذهبنا كعادتنا عصر الخميس (٢ ذ.ق ١٤١٩) المصادف (١٩٩٩/٢/١٨).

وعلى مشارف مدينة النجف وجدنا طوقاً من المدفعية الثقيلة قد احاط بالمدينة المقدسة متخفياً وراء السواتر الترابية وقد وجهت فوهات المدافع نحو المدينة وطلائع من الآليات والجنود التي تنبئ على وجود قطعات عسكرية في عمق الصحراء فرابنا الموقف وسألنا عن ذلك فقيل: انها ربما كانت احتياطات عسكرية لان العراق كان يومئذ في ازمة مع الولايات المتحدة وبريطانيا فيخشون من حصول غارات على المدن العراقية، لكننا رددنا عليهم: لو كان الأمر كذلك لكانت فوهات المدافع متجهة الى حيث تأتي الطائرات المغيرة دفاعاً عن المدينة وليست موجهة الى نفس المدينة فانقطع الجواب وعدنا ليلاً الى النجف.

صبيحة الاستشهاد:

وفي صبيحة اليوم التالي الجمعة (٣ ذ.ق) ذهبنا الى مكتب السيد الشهيدقدس سره الذي كان مقابل الصحن الشريف من جهة باب القبلة وكنت اجلس يومياً في غرفة خاصة مقابل الغرفة التي اتخذها السيد نفسه للاجابة عن اسئلة الناس وقضاء حوائجهم بعد ان اتسعت مرجعيتهقدس سره في الاشهر الأخيرة وازداد زحام الناس فلم يبق له وقت لهذه المسؤولية فحولها عليّ وبقي هوقدس سره لادارة الأمور العامة.

وقد شهدنا مدينة النجف على غير العادة فالقوات العسكرية منتشرة في كل مكان والأجواء مكهربة وتساءلنا مرة أخرى عن سر ذلك فقيل ان اليوم (٢/١٩) وهو اليوم الذي تحتفل به المدينة رسمياً كيوم للمحافظة، لكننا قلنا ان هذه المناسبة ليست جديدة ولم يكن يحتفل بها بهذه المظاهر من قبل.

وفي كل يوم كنا نبقى في مجلسنا العام في المكتب حتى يرتفع آذان الظهر فندخل مع السيد الشهيدقدس سره الى الحرم الشريف لنؤدي صلاة الظهر جماعة الا يوم الجمعة فنغادر المكان قبل الظهر بأكثر من ساعة للذهاب الى مسجد الكوفة المعظم لاداء صلاة الجمعة المباركة المقدسة بإمامة السيد الشهيدقدس سره حيث كان

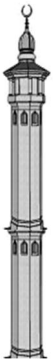

يحجز مكان خلف الإمام مباشرة لاعضاء المكتب فان اغلب الصفوف المتقدمة تشغل من وقت مبكر منذ الفجر.

الجمعة الأخيرة:

وذهبنا الى المسجد المعظم وكالعادة كانت النجف تموج بالمؤمنين الذين يقدمون من كل مدن العراق فيحجزون اماكنهم في صلاة الجمعة بفراش ونحوه ثم يأتون لزيارة امير المؤمنين ومرجعهم الشهيد ثم يعودون الى الصلاة المباركة وكذلك السيد نفسه قدس سره يذهب الى المسجد قبل الآذان ويبقى في محراب أمير المؤمنين عليه السلام يتعبد ويتأمل ويتهيأ حتى ينتهي المؤذن من آذانه فيأتي الى محراب صلاة الجمعة حيث يخلع عبائته ويرتدي البردة البيضاء التي تشبه احدى قطع الكفن ويتقدم الى المنصة المواجهة لجمهور المصلين ليلقي خطبتي الصلاة.

رسالة السيد الصدر (قده) قبيل الرحيل:

وكنت هذه المرة في الصف الأول الى يمين الامام فيمر طريقه بين محراب امير المؤمنين عليه السلام) ومحراب صلاة الجمعة عليَّ فسلّم سلامه العام اثناء مروره واحاطني بسلام خاص بعينيه شعرت منه بمعنى خاص لم افهمه.

لكني فهمت معناه بعد ساعات فقد كان سلام تحميل للمسؤولية الثقيلة وسلام وداع رغم ان فرص اللقاء به يُفترض ان تكون ما زالت موجودة قبل ساعة استشهاده فقد كان يجلس مجلساً ليلياً عاماً يوم الجمعة بعد صلاة المغرب والعشاء وكنت احضر في المكتب لاداء وظيفتي التي ذكرتها قبل قليل الا انني لم اذهب في تلك الليلة لمانع، فقد جرحت يدي اثناء ادائي لبعض الاعمال البيتية قبيل المغرب ولم ينقطع الدم حتى اجدد الوضوء حتى صار الآذان فلم اذهب لصلاة الجماعة في مسجد الكرامة الذي كنت اقيم الجماعة فيه منذ عام (١٤١٦) ومن ثم لم اذهب الى المكتب في تلك الليلة فشاء الله لذلك الجرح البسيط ان يمنع من حصول امرٍ الله يعلمه.

الاعتداء الأثيم وأحداث الليلة الموحشة:

وبعد المغرب بساعتين وعند عودته قدس سره الى داره حصل الاعتداء الاثيم عليه قريباً من داره في مكان لا يبعد كثيراً عن بناية مدرسة البغدادي التي هي مقر دراسة طلبة جامعة الصدر الدينية فوصل اليهم الخبر مباشرة حيث سمعوا اطلاق الرصاص فاسرع اليّ اثنان هما الشيخ نديم الساعدي معاون العميد لشؤون الطلبة والشيخ

علي خليفة من طلبة المرحلة الثانية يومئذ وقالوا ان الناس تتحدث عن عملية اغتيال للسيدقدس سره والاخبار متضاربة عن حالته فاسرعت الى الهاتف لاتصل ببيت اولاد السيدقدس سره السيد مصطفى والسيد مؤمل (رحمهما الله تعالى) فلم اجد من يرد على الهاتف لان اولاد السيدقدس سره وعوائلهم يجتمعون في بيتهقدس سره حتى الليل يوم الجمعة فذهبت فوراً الى بيت الشيخ حيدر اليعقوبي لاستطلع منه فوجدت الاخبار المتضاربة لكني علمت منه ان السيد قدس سره الآن هو في المستشفى الرئيسي في البلد فذهبت فوراُ الى هناك وكانت مطوقة برجال الأمن والباب موصدة بوجه المئات من طلبة العلم والمؤمنين الذين هرعوا الى المستشفى لاستطلاع الخبر واقتربت من الضابط المشرف على الباب وعرفته نفسي وطلبت الدخول فاستمهلني حتى يراجع المقدم فلان الذي كان مشرفاً على القوة الموجودة في المستشفى فاذن لي شرط تخلّي الناس عن الزحام على الباب وتفرقهم عنها فالتمست منهم ذلك فاستجابوا لي على ان اعود لهم بالخبر الصحيح وكانوا يتوسلون الى الله تعالى بالادعية المأثورة للاطمئنان على سلامة السيدقدس سره ودخلت الى جناح الطوارئ وكان هناك السيد مقتدى والسيد سلطان كلانتر صهر السيدقدس سره وآخرين من اعضاء المكتب وحاولت الدخول الى غرفة العمليات للتأكد

من حالة السيدقدس سره فمنعوني لكن الوضع كان يشير الى انتهاء كل شيء فان السيدقدس سره وولده السيد مؤمل قضيا نحبهما فوراً اما السيد مصطفى فقد بقي يعاني النزعات الأخيرة ورأيت على يديه بعدئذ اثر (الكانيولا) التي تشد في عضد المريض ليزرق فيها العلاج فانسحب السيد مقتدى وعدد من الاخوة الموجودين الى الدار ليكون قريباً من والدته المفجوعة وبقينا نحن في المستشفى حتى استدعينا الى غرفة الطبيب لاملاء المعلومات عن الشهداء التي تأخذ عادة حين تنظيم شهادة الوفاة كل هذا ونحن لا نريد ان نصدق بالوفاة ونمني انفسنا بالسلامة وان الله قادر على كل شيء.

ولم اكن استطيع ان اخرج الى الناس الذين ينتظرونني في الخارج لاني لا ادري ماذا اقول واما السيد مقتدى فخرج صامتاً غير ان الشيخ علي البهادلي (المشرف على شؤون العشائر) اشار لهم بما يفهم منه وقوع الحادث الاثيم، وبقينا اكثر من ثلاث ساعات على هذا الحال: نحن واجمون صامتون في المستشفى وممنوعون عن الوصول الى الاجساد المضرجة بالدماء والمخلصون خارج الباب ترتفع اصواتهم بدعاء الفرج وتردد آية ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ وقد اغلقت الشوارع العامة ومنع التجوال وكنّا لا نرى ولا نسمع في الشارع الا اصوات صفير السيارات

العسكرية من جيش وشرطة وقوات الامن والامن الخاص التي كانت تترى طول الوقت على النجف من اتجاه بغداد.

وأُجِّل اعلان الخبر رسمياً احتياطاً حتى تتكامل قواتهم وفي الساعة الحادية عشر ليلاً استدعي جماعة منا (السيد حسين كلانتر والشيخ محمد النعماني) الى بناية المحافظة وحاول المسؤولون الايحاء بخبر الوفاة والطلب منهم السيطرة على المشاعر لكنهم لم يطمأنوا الى قدرتهم على اداء هذا الدور فاجلوا اعلامهم صريحاً بالخبر وطلبوا منهم احضار احد كبار رجال الحوزة الى هناك لكي يتحمل مسؤولية تسلم الاجساد الثلاثة فحاول البعض الاتصال بالسيد محمد كلانتر والسيد حسين بحر العلوم (رحمهما الله) فرفضا فحاولوا مع السيد علي البغدادي الذي كان قد تصالح قبل ايام مع السيدقدس سره فلم يفتح لهم الباب وكلمهم من وراء الشبابيك فضلاً عن الاستجابة لطلبهم ففشلت المحاولات.

وصارت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل الشتوي الطويل واعيد استدعاء مجموعة منا مرة اخرى الى مبنى المحافظة حيث كان يتجمع كبار المسؤولين الرسميين متحسبين لاي طارئ وقد اخبروهم هذه المرة صريحاً بنبأ استشهاد الثلاثة واشترطوا علينا تفريق الناس قبل تسليم اجساد الشهداء فقررنا ان اخرج واقنع

الناس بذلك ثم نعود لتسلم الشهداء.

والى الان لم اصدق كيف تمالكت نفسي ـــ وانا ذو العواطف الجياشة ـ فلم تذرف عيني ولم يتلعثم صوتي وانا اخرج الى الناس في الساعة الواحدة والنصف من تلك الليلة من ليالي الشتاء القارس المهيئة للمطر بين لحظة واخرى واطلب منهم التفرق والعودة صباحاً ليعلموا حالة السيدقدس سره ونجليه ولم أصرح بالنبأ رغم اصرار البعض وركبت السيارة عائداً الى البيت ووفرّوا هم للناس سيارات لنقلهم فقد كانت الشوارع مطوقة ولا احد يستطيع المرور فيها الا السيارات الرسمية بل ان سيارة النقل الكبيرة التي نقلت طلبة الحوزة اعتقلت قرب الصحن الشريف واقتديوا الى مديرية الامن ولم يطلق سراحهم الا بعد حصول القناعة بان الدولة هي التي امرت بنقلهم من المستشفى الى قرب الصحن الشريف ليعودوا الى مدارسهم الدينية، وهو ما حدثني به أحدهم وهو الشيخ علي حميد الذي كان يومئذٍ مديراً لمكتب السيد الشهيدقدس سره ويساعده الشيخ علي صادق.

وما ان ابتعدت عن المستشفى مسافة حتى اطلقت العنان للعواطف والآلام التي كانت حبيسة في صدري فاجهشت بالبكاء الحار وبصوت مرتفع ولم اكن قد اخبرت من معي بالسيارة بالخبر

فشاركوني البكاء حتى وصلت الى البيت حيث مكثت اقل من ساعة وعدت بعدها الى المستشفى وكان هناك ايضاً مجموعة من الطلبة فحملنا الاجساد الطاهرة في سيارة مكشوفة وركبنا في ثلاث سيارات شخصية وترافقنا حوالي اربعين سيارة ما بين صغيرة وكبيرة تحمل القوات المدججة بالسلاح وذهبنا في موكب صامت حزين الى المغتسل وقد أذن ولده السيد مقتدى بأن أتولى انا الصلاة على الاجساد الطاهرة والاشراف على باقي التكاليف الشرعية وبقي هو وعدد آخر في الدار، حيث باشر مجموعة من الطلبة على رأسهم السيد محمد الصافي مباشرة الغسل ولم يسمح لاحد من المنافقين من الدخول الى المغتسل فبقوا خارجه لكنهم قلقون من مرور الزمن اذ كانت الاوامر موجهة اليهم من قبل السلطات باتمام الدفن قبل حلول الفجر لكن الغسل تأخر بسبب نزف الدماء التي لم تنقطع من جسد السيدقدس سره ورأسه وكانت الاصابة في جبهته قاضية وقاسية ويبدو انه اصيب بوابل من الرصاص وجِّه الى جبهته حيث خرج الرصاص من مؤخره تاركاً حفرة عميقة تدخل منها قبضة اليد وقد انتزعت معها اكثر اجزاء رأسه حيث كان رأسه الشريف ككيس من الهواء تستطيع ان تضغطه كيف تشاء وليس جمجمة عظمية ورصاصات اخرى على بدنه الشريف وكان جسد السيد

مؤمل رحمه الله غارقاً بالدماء ايضاً ويبدو وقد جفّ جسمه من الدماء ولم يمكن تكفينهم والحالة هذه فلّفت اجسادهم بقطع نايلون كبيرة وكفنوا عليها بعد ان ملأت جروحهم بالقطن لكنها لم تنفع في قطع الدم.

ويشهد الله بدون مجاملة ولا عاطفة ان وجه السيدقدس سره كان يشرق نوراً وكأنه حي، وقد استمرت عملية التغسيل حتى حان موعد صلاة الصبح فصلينا في المغتسل في حين كان اولئك المنافقون على اشد من الجمر ويلحون علينا بين وقت وآخر بضرورة التعجيل حيث علمت بعدئذ من بعضهم ان قصي صدام كان على خط هاتفي مفتوح يتابع معهم التطورات وكان يأمرهم بالاستعجال وانهاء الأمر تحت جنح الظلام وبعد انتهاء الغسل حملنا الاجساد الثلاثة الى الصحن الشريف ووضعت في الرواق في نفس المكان الذي كان يقيم فيه السيدقدس سره صلاة الجماعة ولم نطف بها حول الضريح المطهر تنفيذاً لرغبتهقدس سره التي سمعتها منهقدس سره فقد كان يستشكل (معنوياً) من هذا الفعل ــ أي اطافة الجنائز حول الضريح المقدس ـ ويقول كيف بي لو مِتُّ ولا استطيع منع من يطوف بجسدي على الضريح وتقدمت للصلاة عليه باذن ولي الفقيد وصلى خلفي بحدود خمسة عشر من اخواني الطلبة في حين

كان بعض المنافقين ينظرون الينا وبقي الآخرون منهم خارجاً.

وبعد اتمام الصلاة حملناهم الى المقبرة الجديدة في النجف حيث كان قدس سره قد اشترى ارضاً هناك لتكون مدفناً له ولذويه وبدأنا بدفن الجسد الطاهر للسيد قدس سره واهلنا عليه التراب ونحن لا نتصور كيف يمكن ان يضم قبر هذا الرجل الذي ارعب اعتى الطواغيت واشرسهم ولا زلت اتذكر ـ وكيف انسى ـ آخر نظرة القيتها عليه قدس سره وهو يفترش التراب في لحده مستقبل القبلة على جانبه الايمن، وقد نزل في لحده المرحوم الشهيد الشيخ علي الكعبي إمام جمعة مدينة الثورة في بغداد الذي قدم الى النجف فور سماعه الخبر فنال شرف المشاركة وكان معنا المرحوم الشهيد الشيخ حسين المالكي ـ الذي كان ملتفتاً الى بعض السنن الشرعية في مثل هذا الحال ـ والمرحوم الشهيد الشيخ محمد النعماني والسيد سلطان والسيد حسين ابنا السيد محمد كلانتر والشيخ عباس الربيعي والشيخ علي البهادلي وآخرون لا استحضر اسماءهم.

وبدأت السماء تمطر مطراً منهمراً وكأنها تشاركنا المصاب وتذرف معنا الدموع وطلبت من السيد محمد الصافي ان ينشدنا ـ وهو صاحب الصوت الشجي ـ ابياتاً في رثاء الحسين عليه السلام ونحن نهيل التراب فانشد ـ ونعم ما انشد ـ عينية الجواهري:

شممت ثراك فهب النسيم نسيم الكرامة من بلقع

والكل يبكي والبعض يأخذ من تراب القبر ويدخره لقضاء حوائجه بما فيهم بعض الضباط والجنود الذين كانوا شاهرين اسلحتهم على رؤوسنا وقبل ان نواري جسدي الشهيدين السيد مصطفى ومؤمل (رحمهما الله) انسحب محافظ النجف ليزف بشرى!! انتهاء عملية الدفن بسلام!! الى سيده قصي ثم ووري الجميع الثرى وشمس يوم السبت ازفت على الشروق لتنهي اعظم ليلة عشتها وعدت الى منزلي وانا مثقل بالاحزان وارخيت لعيني حتى تفرغ ما تبقى من دموع.

ردة فعل النجف من حادثة اغتيال الشهيد الصدر:

ولم تكن مدينة النجف بمستوى الحدث فقد رأيت ـ حين عودتي صباح السبت الى البيت ـ الاسواق مفتحة والاعمال جارية والحياة عادية جداً ربما لان الخبر لم يصل اليهم بعد لكن الله تبارك وتعالى شاء ان لا يمر الحدث هكذا بل ان يعيش المجتمع والمدينة واقع المصاب الاليم فقد اقام السيد مقتدى صلاة الظهر والعصر جماعة في مكان ابيه ـ والاوضاع ما زالت طبيعية ـ فانطلقت صيحات الصلوات على النبي وآله من الموالين واختلطت بدموع وانين المفجوعين بالسيد الشهيد وارتفعت الاصوات فقام

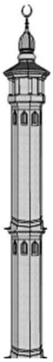

الضابط المشرف على امن الصحن الشريف بتصرفٍ عوقب عليه فيما بعد حيث امر باغلاق ابواب الصحن الشريف عدا واحدة فحصل ارباك لدى الزائرين وفرارهم وما إن خرج جمع الفارين الى خارج الصحن حتى حصل ارباك واختلال الوضع في الشوارع والاسواق المحيطة فاغلقت الاسواق وفر الناس ـ الذين هم اصلاً على وجل ـ باتجاه خارج المدينة وكلما مر جمع الفارين بمنطقة او سوق او شارع انضم هؤلاء اليهم حتى وصلت مسيرتهم على مسافة عدة كيلو مترات وهكذا ساد الوجوم والصمت الحذر والاجواء المكهربة ممتزجة مع مشاعر الحزن والاسى باستشهاد السيدقدس سره الذي علقت الجماهير به آمالها فذهبت ادراج الرياح وانضم اليها الشعور بالندم على التقصير في نصرته فضلاً عن معاداته والوقوف في وجهه وتشويه صورته وها هو يسقط مضرجاً بدمائه في سبيل الدين والمذهب واداء وظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

مجلس العزاء:

واجتماع هذه العوامل جعل مجلس العزاء الذي اقيم في مسجد صافي الصفا مما قل نظيره فقد امتدت صفوف المستقبلين من المسجد الى الصحن الشريف وهي مسافة مئات الامتار فضلاً عن المسجد والسرادقات التي اقيمت بجنبه هذا ومدينة النجف مطوقة بالجيش لا يستطيع احدٌ ان يدخل اليها الا اذا ثبت انه من ساكنيها فعاشت المدينة حصاراً كاملاً لمدة تزيد على اسبوعين ومنع كل من وفد الى النجف لحضور المجلس بما فيهم بعض اقربائه قدس سره الا الوفود الرسمية او من حصل على اذن خاص من الجهات المختصة.

وكان من المقرر ان يستمر المجلس عشرة ايام الا ان السلطة قلصته الى خمسة ثم الى ثلاثة مما اوجب امتعاضاً لدى ذوي الفقيد فقرروا الغاء مجلس قراءة الفاتحة في اليوم الثاني لكن السلطة اجبرتهم على الاستمر باعتبار ان وفداً يمثل صداماً سيأتي يتقدمهم نائبه لرئاسة الوزراء محمد حمزة الزبيدي فاعيد انعقاد المجلس وختم عند غروب شمس اليوم الثالث ولم يستمر الى الليل.

وفي اول ايام المجلس (السبت) اجمعوا على تقديمي لامامة الصلاة جماعة ورفضت اولاً لعدم رغبتي في تسليط الاضواء عليَ

الا انني استجبت لاصرارهم، وكان الخطيب الذي ختم المجلس بمحاضرة دينية هو السيد محمد الصافي الذي الهب عواطف الحاضرين وكانت الجماهير تنتظر لحظة اعتلائه المنبر حتى تطلق زفراتها واناتها واصواتها المرتفعة بالبكاء يحفزهم في ذلك صوته الشجي وطريقته الحزينة.

شهادة الدكتور الشمري:

وقد سجل الدكتور علي حسن الشمري المختص بامراض الباطنية والقلبية مشاهداته للحظات الاخيرة من حياة السيد الشهيد قدس سره وولديه وهو من مقلديه ومحبيه وعارفي فضله حيث كان من القلائل الذين حضروها فكتب المذكرة التالية:

(هذا اليوم الجمعة المصادف (١٩٩٩/٢/١٩) يوم اسود في حياة الناس في العراق وخصوصاً شيعة محمد وآله صلى الله عليه وآله حيث قتلت الايدي الاثيمة المجاهد الوطني العراقي الامامي السيد محمد صادق الصدر وابنيه الاكبر السيد مصطفى والسيد مؤمل، وكان زميلي قد قال لي بان عليّ ان اذهب الى المستشفى بدلاً منه لتأدية الواجب وعندما ذهبت وجدت قوات الامن منعت الناس من دخول المستشفى عدا الاطباء ودخلت ردهة الطوارئ وقد علمت

ان هناك محاولة اغتيال تعرض لها السيد الجليل زعيم الشيعة السيد محمد الصدر وقد انصدمت عندما رأيت المنظر كان ابنه السيد مؤمل سائق والده في آخر رمق من الحياة والاطباء حوله كانهم نحل عاجزين ان يقدموا له أي شيء بعد ان نفذت الطلقات صدره الشريف وعلى السرير الآخر كان هناك السيد مصطفى كان وجهه ازرق وكان في وعي مشوش وكان يقول يا امي يا امي ثم بعد حين كان يقول يا الله يا الله قلت لزملائي اين السيد الاكبر اين السيد محمد كانت الوجوه حزينة وهمس احد طلابي قائلاً البقاء في حياتك قلت غير مصدق، هل سمعتم صدره ؟ هل فحصتموه ؟ اريد ان اراه ؟

كانت قوات الامن تحرس المكان الذي وضع فيه السيد الصدر، قلت لهم افسحوا لي لكي اراه وافقوا على مضض ودخلت الغرفة وجدت المنظر رهيب وجه السيد محمد الصدر شاحب وخالي من الدم وعندما رفعت رأسه الشريف وجدت الطلق الناري قد دخل رأسه الشريف من الخلف استرجعت وحاولت اعتناق السيد لكن الشرطي قال لي: هل انتهيت يا دكتور وعلمت انهم كانوا يخفون الخبر عن ولده السيد مقتدى الذي كان في باب الطوارئ لا يدري ماذا يعمل عدت الى السيد مؤمل الذي ضعف

قلبه كثيراً ولا اكاد اسمع ضربات قلبه تعمل حاول زملائي كل شيء ولكنه فارق الحياة. كنت أأمل ان السيد مصطفى حالته احسن حيث كان تنفسه جيداً وكان قلبه يعمل بصورة جيدة ولكن النزف اخذه وعندما رأيت ظهره كان هناك منفذ الى اربع طلقات نارية وكان النزف مستمراً. يا الهي ان حالته غير مستقرة كان بحاجة الى تداخل جراحي سريع ولكن بدأت حالته تتردى وفقد الوعي نهائياً وفارق الدنيا.. يا الهي ماذا اعمل، هذا امامي وهذان ولداه قد فارقوا الدنيا، ماذا اعمل لا استطيع ان اخبر ابنه ولا حتى احد الشيوخ الذين كانوا قريباً من عندي.

هكذا هي:

وهكذا انتهت حياة السيد الجهادية وحيث انه اقام صلاة الجمعة المعطلة وكان جريئاً في خطابته وانتقد عدة مواقف كانت تقف امام الدين وانتقد عدة فئات من الشعب وكان يرجو صلاح هذه الفئات وانتقد المارقين عن الدين عدة انتقادات وكان آخر ما انتقده في هذه الجمعة رقم (٤٥) الغجر والذين وضعوا الغجر وجاء السهم سريعاً حيث ان الغجر لم يمهلوا السيد حتى المساء وتربصوا له ووضعوا له فخاً عندما سألت احد الحاضرين اين تم قتل السيد

وابنائه قال لي قرب مركز المدينة، ونحن النجفيون في تلك الليلة مستغربين من وجود التيار الكهربائي في المحافظة حيث اننا ومنذ شهر رمضان كان التيار الكهربائي عندنا بمعدل ساعتين في كل ٢٤ ساعة وكما ان مقتل السيد حصل في وقت قريب بعد انتهاء صلاة العشاء حيث كان السيد محمد مع ابنه السيد مؤمل والسيد مصطفى وبالقرب من سكناهم في حي الحنانة كان القتلة المجرمون ينتظرون السيد والمكان أظلم وكان اللاسلكي يعمل ويخبر القتلة بأن السيد سيصل بعد قريب بسيارة ميتسوبيشي رصاصي وخلال دقائق صدر صوت الرشاش المدوي وخلال لحظات تجمعت سيارات الأمن الداخلي ومنعت الناس)، انتهى ما ذكره الدكتور علي الشمري.

الفصل السابع

ذكريات ومراجعات الحركة الإسلامية في العراق منذ العام ١٩٩٩ـ٢٠٠٣

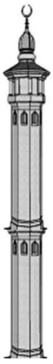

ذكريات ومراجعات الحركة الإسلامية في العراق منذ العام ١٩٩٩ـ٢٠٠٣

تمهيد:

الحمد لله كما هو أهله، وصلى الله على أشرف خلقه أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

كان سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله الشريف) ومنذ توليه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق بعد استشهاد أستاذه السيد محمد الصدر قدس سره دؤوباً في الذود عن الشريعة الحقة، وتمثيلها في كل الميادين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها. حيث كان يبث ذلك الى الأمة تباعاً عبر ما أسماه (بخطاب المرحلة).

لكن هذا العنوان وتسلسل تلك الخطابات لم يطرحه سماحته إلا بعد سقوط الصنم؛ لأن أي عمل منظم مرتب يراد منه تحقيق نتائج على صعيد وعي الأمة وإصلاحها يعتبر عند السلطة تنظيماً حزبياً يحرّمه القانون وعقوبته الإعدام.

وقد استفاد سماحته في قوله وعمله ومنهجه كثيراً من القرآن

الكريم، ومنها منهج المرحلية في التعاطي مع الواقع الإسلامي وتحديات العصر، حيث يستشهد سماحته بقوله تعالى: ﴿اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (آل عمران:١٠٢) وقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن:١٦) فيقول إن الآية الأولى تمثل الهدف الاستراتيجي الذي ينبغي الوصول إليه، أما الثانية فتمثل الآلية المرحلية التكتيكية، حيث تثمر كل خطوة ما هو أرقى منها في المرحلة التي تليها وهكذا تتكامل الخطوات للوصول إلى الهدف النهائي بإذن الله تعالى.

وبين أيدينا مجموعة من المذكرات والمراجعات في سيرة الحركة الإسلامية في العراق الحديث، والموقف إزاء جملة من القضايا والأحداث التي مرّت بالشعب العراقي خلال فترة عصيبة من تأريخه وهي التي تلت استشهاد السيد الصدر الثاني قدس سره عام ١٩٩٩ بما سادها من اليأس والإحباط الممزوجين بالخوف والقلق، حتى بدء الاحتلال الغربي بقيادة الولايات المتحدة للعراق في آذار ٢٠٠٣.

ونرى في هذه الكلمات الصورة الجلية والمتميزة لأداء منهج (المرحلة) التي دشنها سماحته في حركته.

وقد تحمل سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) ـ الذي وصفه

السيد الشهيد الصدرقدس سره بأنه المرشح الوحيد من بعدي لقيادة الحوزة[1]، والتي تعني قيادة المجتمع بأسره ـ تحمل مسؤولية إدامة المشروع الإصلاحي للسيد الشهيدقدس سره بحكمة وصبر وشجاعة، واختار الآليات المناسبة للعمل في تلك الظروف التي عجز فيها الآخرون عن التفوه بكلمة فضلاً عن اتخاذ موقف.

وعليه فلا بد من الإلمام بفكرة عن أحداث تلك الفترة وظروفها، وخير من يحدثنا عن تلك الفترة سماحة الشيخ نفسه حيث عاشها من موقع المسؤولية والقيادة التي تكلل عملها بالنجاح والتوفيق بفضل الله سبحانه، فكان في قلب الأحداث وليس على هامشها، وننقل هنا نصوصاً من مذكراته، حيث خصص الفصل السادس منها لمرحلة ما بعد استشهاد السيد الصدرقدس سره حتى سقوط الصنم الصدامي، وسوف ننقل المقدار المرتبط بصدور هذه الخطابات والتوجيهات والبيانات. ومن أراد التوسع فعليه مراجعة

(١) في لقائهقدس سره مع طلبة جامعة الصدر الدينية يوم ٥/جمادى الثانية/١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٩/٢٧ م أي قبل استشهادهقدس سره بحوالي خمسة أشهر، ويوجد هذا النص وغيره من النصوص المشيرة إلى وصية السيد الشهيدقدس سره باتباع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) من بعده في كتب (السيد الشهيد الصدر الثانيقدس سره كما أعرفه) و (قناديل العارفين) والفصل الرابع من مذكرات الشيخ اليعقوبي.

كتاب خطاب المرحلة والذي يعد بحق منظومة من المعارف الإسلامية لتربية الأمة وتنشئتها. فهي تمثل انفتاح الإسلام على وعي الإنسان المعاصر ومشكلاته، وتأصيل خطاب يتزن للسياسة والدين والثقافة وواقع العصر.

ونسأله تعالى القبول وأن يحشرنا مع أوليائه الصالحين محمد وآله الطاهرين والحمد لله رب العالمين.

رحيل السيد الصدر الثاني قدس سره:

قال دام ظله:

(رحل[1] عنا السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره وترك وراءه فراغاً كبيراً، وهالنا وقع المفاجأة، فقد كان المرجع والقائد والأستاذ والأب والمربي والرمز والأمل، وكان الركن الشديد الذي نأوي إليه إذا أحزبنا أمر، أو داهمتنا الخطوب، أو استعصت علينا مسألة، أو أشكلت علينا معضلة، وقد كانت مصيبة كل واحد منا بقدر

(١) استشهد السيد الصدر قدس سره مساء الجمعة ٣/ ذو القعدة / ١٤١٩هـ المصادف ١٩/ ٢/ ١٩٩٩م كما هو معلوم. وقد خصَّص سماحته الفصل الخامس من مذكراته لشرح تفاصيل ليلة الاستشهاد حتى تولى الصلاة على جثمانه الطاهر، ونُشرت ضمن كتاب (السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره كما أعرفه).

معرفته به قدس سره وبمقدار ما نهل من علومه ومعارفه وأخلاقه، وبمقدار ما علق عليه قدس سره من آمال، فسكبنا ما شاء الله تعالى من الدموع، وانطوت جوانحنا على ما يعلمه الله تعالى من الآلام والهموم.

مرقد الشهيد الصدر محلا للثائرين:

وتحول مرقد السيد الشهيد قدس سره إلى محل يجتمع فيه يومياً آلاف المفجوعين من أتباعه، وآخرون أحسوا بالندم؛ لأنهم لم ينصروه، ولم يشاركوا في حركته، وسمعوا فيه كلام الباغين والحاسدين، ويُلقي الشعراء المراثي ويقابلهم الحضور بالبكاء واللطم على الصدور، والسلطة تراقب عن كثب، ولا تتدخل لامتصاص زخم الجماهير الغاضبة، ولسان حالهم: (فلقد قضيت من الحسين ديوني)، وأخذت الأعداد تتزايد عندما رفع الحصار عن النجف بعد أسبوعين تقريباً، وبدأت أعداد كبيرة تفد من المحافظات، واستمر هذا الحال إلى الأربعين، الذي صادف قرب زيارة الغدير، وهي زيارة ضخمة إلى مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، ومن ثمّ انتشر جلاوزة السلطة حول المرقد الشريف، ونشروا سيطرات عسكرية لمنع وصول الناس إليه.

الإحساس بالمسؤولية:

وبإزاء هذه المشاعر العامة كان عندي إحساس من نوع خاص، إنه الشعور بالمسؤولية تجاه المشروع الإصلاحي الذي اختطه السيد الشهيد قدس سره وتوجيه الحركة الإسلامية المتنامية في العراق، وكنت أرى أن التصدي لهذه المسؤولية منحصراً بي، حيث ارتعدت فرائص الآخرين من الخوف، ولم يجرأوا حتى على فتح أبواب دورهم عندما طرقها ذوو السيد الشهيد قدس سره المفجوعون ليلة الاستشهاد، وهم شباب لا تجربة لهم، وطلبوا مساعدتهم والصلاة على جثمانه الطاهر، فحرموا من هذا الفضل العظيم.

القيادة مسددة بالطمأنينة وقوة القلب:

وقد اقترن هذا الإحساس بتكليفي بحمل هذه الأمانة بقرائن وجدانية، من خلال ما أفاض الله تعالى علي من الطمأنينة وقوة القلب ورباطة الجأش واستصغار الدنيا والطامعين فيها وعبدة الطاغوت ـ مهما كان جبروتهم ـ والحكمة في التصرف، مما لم أكن أعهده من قبل، وفهمت بالوجدان ما روي عن الإمام الهادي عليه السلام حينما قال لجلسائه يوماً ـ وهو في المدينة ـ الآن توفي أبي الجواد عليه السلام، قيل: وكيف علمت يا ابن رسول الله وأبوك في بغداد؟ فقال عليه السلام: لقد داخلني من الهيبة لله تبارك وتعالى ما لم أكن

أحسه من قبل، فعلمت أنني أصبحت الإمام الفعلي[1] الإمام بعد وفاة أبي عليه السلام.

الاستخلاف للقيادة النائبة:

فانضم هذا الإحساس الوجداني إلى ما أعلنه السيد الشهيد قدس سره مراراً وفي أكثر من موطن وموقف، وبصيغ متنوعة لحوزته وأتباعه ولعموم الأمة في تعيين القائد البديل ــ كما كان يكرر قدس سره، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في الفصل الرابع من هذه المذكرات، حيث كان يدعو باستمرار إلى الرجوع إلى البديل الذي يعده من طلابه قيادةً آنذاك، حتى لو لم يشهد باجتهاده؛ لحاجة الحوزة والمجتمع إلى من يقودهما ويرتب أمورهما

(١) أراد الإمام عليه السلام بهذا أن فترة إمامته الشريفة قد بدأت، ومثله حديث آخر عن صفوان أنه سأل الإمام الرضا عليه السلام «عن الإمام متى يعلم أنه إمام؟ قال: يعلم ذلك حين يمضي صاحبه، قلت: بأي شيء؟ قال: يلهمه الله». وحديث آخر عن هارون بن الفضل قال: «رأيت أبا الحسن علي بن محمد في اليوم الذي توفي فيه أبو جعفر عليه السلام فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى أبو جعفر عليه السلام، فقيل له: وكيف عرفت؟ قال: لأنه تداخلني ذلة لله لم أكن أعرفها» (الكافي:٣٨١/١، باب: في أن الإمام متى يعلم أن الأمر قد صار إليه، ح٥،٤).

والرجوع إلى مجتهد آخر لإبراء الذمة، حتى يشهد باجتهاده فيكون الرجوع إليه تقليداً وقيادةً لأنه الأعلم.

وكان هذا الاستخلاف للقيادة النائبة مبنياً على تقييم دقيق لاستحقاقات المرجعية القائدة علمياً وأخلاقياً وفكرياً واجتماعياً امتدّ لفترة خمسة عشرة عاماً[1]، أما المستوى الأخلاقي والفكري والحركي فيكشف عنه كتابا (قناديل العارفين) و(الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه) وأما المستوى العلمي فقد كان النبوغ واضحاً منذ البداية وصدر في عامي ١٤١٨- ١٤١٩هـ (١٩٩٨م) كتابان مهمان حظيا بالثناء والإعجاب، أولهما كتاب (المشتق عند الأصوليين) وتضمن تقرير أبحاث السيد الشهيد الصدر قدس سره في علم الأصول مع بعض المداخلات، وقد أعجب به السيد الشهيد قدس سره وجعله من أجزاء دورته الأصولية (منهج الأصول) مستغنياً به عن كتاباته قدس سره.

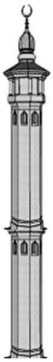

التربية العلمية كانت مستندة الى جذور عميقة:

وثانيهما كتاب (الرياضيات للفقيه) وهو فريد في بابه لذا نال إعجاب المراجع والعلماء بما تضمن من تحقيقات فقهية

(١) لاحظ جذور ذلك منذ عام ١٩٨٥م في كتاب (السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره كما أعرفه)، وكتاب (قناديل العارفين): المقدمة.

وأصولية ورياضيات معمقة لا يوجد من يجمعها، وناقشت فيه أساتذتي المراجع وقد شهد به السيد الصدرقدس سره وأوضح في بحثه الخارج ـ في صلاة الجمعة ـ عندما ناقش مسألة الفرسخ[1] وقال عنه أنه نقل الفقه من الحيض والنفاس إلى الآفاق العلمية العالية، كما أثنى المراجع الآخرون في كلمات نحتفظ بها، فكانت هذه الوثائق الإثباتية مستندة إلى حقائق ثبوتية واقعية بفضل الله تبارك وتعالى، حيث لم يعرف عن السيد الشهيدقدس سره المجاملة والمداهنة خصوصاً في مثل هذه الأمور المصيرية التي كان تقييمه للآخرين فيها صريحاً وواضحاً وتحمل بسبب ذلك ما تحمل.

القرابة القريبة والمنزلة الخصيصة:

وكانت هذه المنزلة المتقدمة للشيخ اليعقوبي معلومة لدى جميع المقربين منهقدس سره ولدى كل المطلعين على حركة السيد الشهيدقدس سره حتى خصومه، وبرز ذلك بشكل واضح في مجلس تلقي التعازي وقراءة سورة الفاتحة على روحه الطاهرة الذي أقيم في جامع صافي صفا، فقد كان سماحة الشيخ من يتلقى التعازي، ولما حان وقت صلاتي المغرب والعشاء أجمع ذوو السيد

(١) محاضرة بتأريخ ١-٢/شعبان/١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/١١/٢١.

الشهيدقدس سره والعاملون في مكتبه وأتباعه ومريدوه على تقديم سماحة الشيخ لإمامة الصلاة إعلاناً لكونه المقدم عليهم بعد رحيله قدس سره.

موقف أولاد السيد الشهيد رحمه الله:

وكان من بقي من أنجال السيد الشهيدقدس سره ـ بعد استشهاده ومعه ولداه مصطفى ومؤمل ـ يحفظ لي هذه المنزلة ما دام بعيداً عن المتعصبين والحاسدين والمتملقين، فقد أمر ـ كما تقدم ـ بأن أتولى الصلاة على الجثمان الطاهر للسيد الشهيدقدس سره والإشراف على تغسيله وتجهيزه ودفنه، كما رغب أن أجلس في المقعد المجاور لموضع جلوس السيد الشهيد في الغرفة الكبيرة، ووضعنا صورته في مكانه، وجلست إلى جانبها لاستقبال المعزّين طيلة أربعين يوماً.

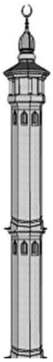

جدوى مواصلة الخط الحماسي الذي دشنه الشهيد الصدر:

وفي مساء اليوم الثالث حيث انتهى مجلس العزاء اجتمع كل العاملين في المكتب للمداولة في كيفية الاستمرار بالعمل، وكان الجميع يتعاملون مع سماحة الشيخ على أنه كبيرهم والمقدم عليهم وواجهة العمل في مكتب السيد الشهيدقدس سره وكان مما طلبوا:

الاستفادة من الزخم العاطفي لحادث الاستشهاد وإقامة صلاة الجمعة في الكوفة ومواصلة الخط الحماسي الذي صنعه قدس سره في نفوس الجماهير المؤمنة.

وكان من رأيي أن هذا غير ممكن ولا جدوى منه بعد المنع الذي أبلغه لنا صريحاً في مجلس الفاتحة الوفد الذي بعثه المقبور صدام وضم مسؤولين كبار في نظامه لتقديم التعازي، فليس من الحكمة الاصطدام المباشر مع النظام الطائش المتفرعن الذي لا يتورع عن ارتكاب أية جريمة، وما زالت دماء السيد الشهيد قدس سره طرية، وذكرت شاهداً تصرف الإمام السجاد عليه السلام لما أستقبله أهل الكوفة بالعويل والبكاء بعد استشهاد أبيه الإمام الحسين عليه السلام وعرضوا نصرتهم عليه ضد الطاغية ابن زياد فرفض ذلك، فلا بد إذن من العمل بآليات جديدة تديم الحركة الإسلامية وتنميها تمهيداً لإقامة دولة العدل الإلهي، وتصون أبناءها من بطش الطاغوت إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، ولم يرُقْ ذلك للبعض، وعادت من جديد الفجوة السابقة بين المعتدلين والمتطرفين التي أشار إليها السيد الشهيد قدس سره في لقائه مع العاملين في المكتب قبيل استشهاده، فعزلوا الإدارة المعتدلة التي عينها السيد الشهيد قدس سره قبل عدة أشهر، واستبدوا بالأمور.

السير على منهاج البصيرة وخط الوعي:

أما أنا ومن معي فقد مضيت على بصيرة من أمري ووضعت برنامجاً لعملي في مرحلة ما بعد السيد الشهيدقدس سره، ودوّنت أفكاري ورؤاي حتى لا تغيب عن بالي فكتبت في ورقة صغيرة ــ ليمكن إخفاؤها وليتيسّر لي وضعها في حجيبي باستمرار ــ الخطوط العامة لمنهج العمل الذحي أسير عليه في المراحل التالية لاستشهاد السيدقدس سره متجاوزاً العواطف الملتهبة وردود الفعل الانفعالية ووضعتها في متناول يدي لمراجعتها باستمرار، ويظهر من بعض نقاطها كالمحافظة على صلوات الجمعة المتبقية أنها كتبت في الأيام الأولى من استشهاد سيدنا الأستاذ الصدر الثانيقدس سره حيث منعت لاحقاً إقامة كل الصلوات وأحتفظ عندي بنفس الورقة.

الخطوط العريضة للعمل بعد الاستشهاد:

وهذه هي النقاط التي مثلت الخطوط العريضة لبرنامجي المستقبلي ويستطيع المتابع معرفة مقدار ما أنجز منها:

١. تنشئة قاعدة حوزوية واعية مخلصة.

٢. توعية المجتمع وتثقيفه بإصدار الكتب والنشرات والكراسات أو إصدار مجلة إن أمكن ونشر المبلغين واحتضان

الخطباء المخلصين.

٣. معالجة الظواهر الاجتماعية المنحرفة والتصدي لها بالاستفتاء ونحوه.

٤. رد الشبهات التي تُوجّه إلى المذهب والدين.

٥. استقطاب الطاقات الكفوءة المخلصة الواعية من الشباب إلى الحوزة لتدارك النقص الذي حصل فيها وسد حاجة المجتمع إلى المرشدين والمبلغين.

٦. توجيه عمل مكتب السيد الشهيدقدس سره والمحافظة على استمرار نشاطه باعتباره أهم رموز السيد الشهيدقدس سره والمركز الذي يلتف حوله المجتمع الناطق وسعة مسؤولياته التي يباشرها وعدم تشتيت مراكز الحوزة الناطقة.

٧. معالجة النقائص الموروثة في الحوزة على مستوى المناهج الدراسية أو الإدارة أو المالية أو غيرها.

٨. النهوض بالمستوى العلمي للحوزة بالمباشرة الفعلية في الدراسة والتدريس وتشجيع الطلبة المتفوقين مادياً ومعنوياً.

٩. بثّ روح الأخوّة والألفة وإزالة الخلاف الحاصل بين مراكز الحوزة الرئيسية فان وحدة المجتمع من وحدة الحوزة وتفرّقه من تفرقها.

١٠. رعاية المجتمع النسوي سواء على مستوى الخطابة أو الحوزة وطلب العلوم الدينية أو إحياء المناسبات الدينية والاجتماعية بشكل هادف.

١١. دعم الجمعات المتبقية والسعي إلى إرجاع غيرها ولو في الجملة كالمناطق التي ليس فيها موانع[١].

١٢. إحياء المناسبات الدينية داخل الحوزة وخارجها بالاحتفالات واستغلالها لمناقشة أمور الحوزة والمجتمع والاستفادة من المناسبات لتحقيق الأهداف المطلوبة.

١٣. احتضان وتشجيع الشرائح الاجتماعية النافعة كالشعراء وحملة الأقلام والفنانين وطلبة الجامعات وتوجيههم نحو الهدف الحقيقي.

التوسع التدريجي:

ثم بدأت بوضع تفصيلات أكثر كلما تمكنت من زمام

(١) بقينا نعمل ما بوسعنا لاستمرار ما يمكن من صلوات الجمعة ــ كما في كربلاء ــ وكنّا نحثّ كل من يقدر على تأسيسها، كما حدث في حي الميلاد في النجف بعد ذلك لمدة طويلة، حيث أقامها أحد طلبتنا، وحثثنا على الحضور، حتى اتسع، ومن ثم منعته السلطة أيضاً.

الأمور، وثبتت لي قدم في الحوزة العلمية والمجتمع، حتى نضجت رؤية تفصيلية كاملة انتهيت من تدوينها في ليلة مباركة هي ذكرى ولادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام يوم ٢٠/ جمادى الثانية / ١٤٢٠ (١/ ١٠/ ١٩٩٩) أي بعد استشهاد السيد الصدر قدس سره بعدة أشهر، وطبعت الدراسة بعد سقوط صدام بعنوان (المعالم المستقبلية للحوزة العلمية الشريفة)، وأشرت في مقدمة الكتاب إلى ظروف وضع هذه الدراسة، والصعوبات التي كانت تحيط بنا، وأنه كتب بلغة حذرة محفوفة بالتقية، لأننا كنا نحتمل مداهمة دورنا في أي لحظة من قبل أزلام النظام، وعثورهم على مثل هذه الأفكار يعني إعطائهم الدليل الكافي لـ (إدانتنا).

الاستمرار والتحدي: استراتيجية جديدة في العمل الإسلامي:

وقلت عن تلك الظروف والصعوبات: (ولكن ذلك كله لا يُقعد العاملين المخلصين بإذن الله تعالى، فبادرت فور استشهاده رغم الزخم العاطفي الذي يملؤنا إلى تسجيل إستراتيجية عملي للفترة المقبلة في نقاط ثم بدأت بتوسيعها وتسجيل تفاصيل أخرى حتى صار هذا الكتيب الذي اعتز به، ولا زالت حلاوة التحدّي الذي حملناه في تلك الفترة نستشعرها بين جوانحنا والفضل لله

تبارك وتعالى وحده.

ولإيماني العميق بأن الإصلاح والعلاج لا يكون ناجحاً إلا بعد تشخيص علل الخلل والفساد أما الاكتفاء بمعالجة الظواهر الفاسدة والمنحرفة التي هي معلولات ونتائج لتلك العلل فهذا علاج ناقص ومن هنا فكرت وتأملت ووضعت برنامجاً لعملي من دون أن أعلنه طبعاً لأن الحديث عن مثل هذه الأفكار يعني تجاوزاً كبيراً للخطوط الحمراء في منظور ذلك النظام المتوحش فكان الأحجى هو التنفيذ العملي لها وتدريجياً بحسب ما تسنح الفرص)[1].

وكان التحدي الأول الذي واجهنا في المرحلة الجديدة هو وضع هذه الإستراتيجية لتحديد نوع وكيفية إدامة الحركة الإسلامية وقيادة مفاصلها، وما هي الآليات المناسبة للعمل بعد غياب السيد الشهيد قدس سره والقضاء على كل مفاصل حركته، فتوقفت صلاة الجمعة وأغلقت دور القضاء الحوزوي وفروع مكتب السيد الشهيد قدس سره في المحافظات، ومن ثم المكتب الرئيسي في النجف وغيرها، والرمز الوحيد الذي بقي شامخاً هو صرح جامعة الصدر الدينية التي عينني سماحته قدس سره عميداً لها منذ يوم ٢١ صفر

(١) المعالم المستقبلية للحوزة العلمية الشريفة: ٩-١٢.

١٤١٩هـ فمن غير الممكن الاستمرار بنفس آلياته قدس سره التي أشعلت حماس الجماهير وصارت لا ترضى بأحد إلا أن يسير على ذلك المنوال، فكيف يمكن إخراجهم من حالة الإحباط واليأس التي أصيبوا بها، وإقناعهم بأن المشروع الإلهي ماضٍ ومستمر، ولا يتوقف بغياب شخص مهما كان دوره مهماً.

وقد ذكرت الآن ما وضعت من إستراتيجية للعمل، وسيتضح لاحقاً بعض تفاصيلها بإذن الله تعالى.

جامعة الصدر: نقطة انطلاق الوعي الجديد:

وكانت نقطة الانطلاق في الحركة الجديدة هي جامعة الصدر التي كانت تضمّ حوالي ٣٠-٤٠ طالباً يدرسون المقدمات لكنهم كانوا يحملون وعياً رسالياً وطاعة لي باعتباري عميد الجامعة وقد أُضيف إليه عنوان آخر وهو قيادة الحوزة والمجتمع بعد استشهاد السيد الصدر قدس سره الذي اختارهم قبل استشهاده بخمسة أشهر ليعلن وصيته بأن المرشح الوحيد الذي ينبغي أن يمسك الحوزة من بعده هو الشيخ محمد اليعقوبي، ويحتفظون بشريط التسجيل لهذه الكلمات بصوته قدس سره.

فكان نخبة منهم أداة فاعلة في الحركة الرسالية التي قمتُ

بها بها، وكانت السلطة تدرك ذلك وتحاول معرفة تفاصيله حيث إن عمل الجامعة كان غامضاً بالنسبة لهم لأن نظام الجامعة يقتضي كون الدراسة مغلقة داخل البناية ولا يخرج الطلبة منها إلا في أوقات محددة ولا يسمح للضيوف والزوار بدخولها.

الرصيد العلمي والاحتكاك المباشر بالسلطة:

ويزيد قلقهم أن عميد الجامعة يحمل شهادة في الهندسة المدنية ورصيداً حوزوياً كبيراً، ووضع نظاماً إدارياً مؤسساتياً ليس معروفاً في الحوزة[1] يقتضي وجود عميد ومعاونين له ولجان، وهذا العمل المنظم تعتبره السلطة تنظيماً حزبياً مرعباً، مع ما يصل إلى سمعهم من تدريس مواد غير حوزوية كاللغة الإنكليزية والكيمياء والفيزياء والفلك والرياضيات والنفس والاجتماع والفسلجة، وأن كتب السيد الشهيد الصدر قدس سره في الأصول تدرَّس فيها بدلاً من المناهج التقليدية.

وهذا كله دفعهم إلى الاحتكاك بنا واستفزازنا وإجراء التحقيقات عنا، وفي إحدى استدعاءاتي لمديرية أمن النجف حيث كان يستجوبني المدير نفسه بعد أن يقدّم (قهوة) الضيافة التي

(١) راجع كتاب (المعالم المستقبلية للحوزة الشريفة).

فتكت بحياة الكثيرين، وكان من أسئلته: أنه ما معنى تدريسكم للكيمياء والفيزياء والاقتصاد؟ هل تريدون أن تؤسسوا حكومة فيها وزير الكيمياء ـ حسب تعبيره ـ والاقتصاد والفلك.

وهذه تهمة خطيرة طبعاً فشرحت له وجه تدريس هذه العلوم بأنه من أجل إلمام طالب العلوم ببعض العلوم العصرية التي تعينه على فهم المسائل الفقهية، كاعتماد قضية الهلال والقبلة على الفلك، وارتباط قضية الحيض والاستحاضة عند النساء بعلم الفسلجة ونحوها، فأجاب بتفهمه للأمر، لكن متابعتهم للجامعة وتحركات العميد والنشاطات الجارية فيها لم تتوقف.

شرعية الاستمرار بالعمل:

والتحدي الثاني كان تحدي الشرعية للاستمرار بالعمل أمام السلطة وأمام الحوزة العلمية وعموم المجتمع، فإن عقيدتنا نحن الشيعة الإمامية تقضي بوجوب رجوع المكلف في أحكامه الشرعية في زمن الغيبة إلى المجتهد الجامع للشرائط.

خطورة إعلان الاجتهاد:

وبالرغم من إنني كنت أعتقد بحصول ملكة الاجتهاد عندي

في حياة السيد الشهيدقدس سره[1]، حيث قمت ببعض الممارسات العملية في الاستنباط، وتدعمني في ذلك الإشارات التي تكررت من السيد الشهيدقدس سره بعد مناقشاتي له في بحث الأصول منذ عام ١٤١٧ هـ أقول: بالرغم من ذلك إلا أنه من غير الممكن إعلان مثل هذا الأمر لأنه سيقابل بالتشكيك والاتهام، بل بالسخرية والاستهزاء كما أنكروا اجتهاد السيد الشهيد الصدر الثانيقدس سره حتى استشهاده، وبخلوا بالشهادة على اجتهاد السيد الشهيد الصدر الأولقدس سره حتى قبيل استشهاده، ولم نكن نستطيع الرجوع إلى السيد كاظم الحائري المقيم في قم المقدسة الذي أشار السيد الشهيدقدس سره إلى أعلميته في مرحلة ما، بالرغم من تبرعه بتجديد وكالات معتمدي السيد الشهيدقدس سره جميعاً لمدة عام؛ لأن مثل هذا الارتباط بجهات

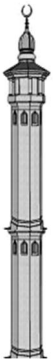

(١) ومما يدل على ذلك أن شهادات الاجتهاد التي تطوع بها بعض المراجع الكرام بعد سقوط صدام عام ١٤٢٤/ ٢٠٠٣ كانت مبتنية على مراجعة بحث (القول الفصل) الاستدلالي الذي كتبته في الأشهر الأولى بعد استشهاد السيد الصدرقدس سره وكتاب (مسائل في الفقه الاستدلالي المقارن) الذي ضم عدة مسائل بحثت فيها خلال تلك الفترة، فالاجتهاد يعود إلى ذلك الزمان بل قبله.

خارجية مما لا تتسامح فيه السلطة[1] وتنزل بالمتهم به أقسى

(١) وكان هذا السلاح ــ أي التهمة بالاتصال بالخارج ويعنون الجمهورية الإسلامية في إيران ــ يشهرونه في وجوهنا دائماً لتخويفنا والضغط علينا لترك العمل الاجتماعي والاكتفاء بالدرس، فبعد غلق مكتب السيد الشهيد قدس سره ــ الذي ستأتي الإشارة إليه ــ طلب مدير أمن النجف (الذي عُين بعد حادث الاستشهاد وأُبعد الأول للتمويه بمسؤوليته عن الحادث وتقصيره في حماية السيد!!) زيارة جامعة الصدر واللقاء بطلبتها مساءً لإسداء (النصائح) و(التوجيهات)، وكان مما قال: (إن أي مؤسسة أو جامعة ــ كجامعة الصدر ــ لا تستطيع الاستمرار والبقاء إلا بتمويل، وإذا لم يكن تمويل من الداخل فإنه من الخارج، وقد كان تمويلكم من مكتب السيد الشهيد قدس سره وقد أغلق)، وفي هذا إشارة واضحة بأن تمويلكم من الخارج فاتخذت إجراءً بمنح الطلبة عطلة يوم الإربعاء مضافاً إلى التعطيل الاعتيادي يومي الخميس والجمعة للتظاهر بأنهم يقضون هذه الأيام الثلاثة بالعمل والكسب لسد احتياجاتهم. والواقع أنني كنت أصرف على الجامعة فعلاً مما يصلني من الحقوق الشرعية والأمانة تقتضي هنا أن أسجل المواقف الشجاعة والمؤازرة المخلصة لأساتذة وطلبة جامعة الصدر معي في تلك الأيام العصيبة وهمتهم في العمل الإسلامي المبارك حتى استشهد اثنان من الأساتذة، أحدهما الشيخ حسين المالكي الذي أصدر في الأيام الأولى بعد استشهاد السيد كراساً لتوعية الجماهير وإلفات نظرها إلى استمرار القيادة المتمثلة بالشيخ اليعقوبي وعنوانه: (الساحة

العقوبات ـ أعني الإعدام ـ مضافاً إلى أن السيد الحائري مما (لا يتيسر له النظر في القضية العراقية) كما عبر السيد الشهيدقُدِّسَ سِرُّهُ.

وكان هذا التحدي يهدد بشلّ العمل وإيقافه، لكننا عملنا لمعالجته بما يبرئ ذمتنا أمام الله تبارك وتعالى، ومما سنذكره عن العلاقة مع الحوزة الأخرى.

التحدي العلمي واختصار الزمن:

والتحدي الثالث المتفرع عن الثاني هو مضاعفة الجهود العلمية لاختصار الزمن في الوصول إلى مقام القناعة (الإثباتية) ــ أي لدى الآخرين ـ باجتهادي وقدرتي على الاستقلال باستنباط الأحكام الشرعية والإفتاء، وهو مقام يتأخر سنين عن القناعة (الثبوتية) أي في وجدان الشخص وفي عالم الواقع.

وأتيحت فرصة مناسبة لذلك عندما طلب مني حشد من طلبة السيد الشهيدقُدِّسَ سِرُّهُ إكمال درسه في (كفاية الأصول) ــ وهو أعلى كتاب دراسي مقرر في علم الأصول ــ فشرعت بتدريسهم من المبحث الذي انقطع عنده بسبب استشهادهقُدِّسَ سِرُّهُ وهو (دليل

بعد غياب المرجع) كما ألف كتيب (أختي انتبهي) ضمن إصداراتنا وبإشرافنا ومراجعتنا، واعتقل آخرون وحكم على بعضهم بالسجن المؤبد.

الانسداد) إلى نهاية الكتاب، وتحققت بذلك قفزة علمية جيدة، وانتهيت من تدريس الكتاب في ٢٣ – ربيع الثاني- ١٤٢١ (٢٧/ ٧/ ٢٠٠٠).

وألفت في الأشهر الأولى بعد استشهادهقدس سره كتاباً بعنوان (القول الفصل في أحكام الخل) ناقشت فيه ببحث استدلالي فتوى السيد الشهيدقدس سره بحرمة الخل المدبس واستنتجت عدم الحرمة خلافاً لما ذهب إليهقدس سره، وكانت محاولة فريدة في توظيف علم الكيمياء في علم الاستنباط الفقهي، وكان بحثاً مبدعاً وإن لم نتعمق فيه كثيراً لأن الهدف كان إيضاح هذه المسألة ورفع الحرج عن الناس في بعض الموارد، مضافاً إلى قلة المصادر عندي يومئذٍ كما هو واضح عند من اطلع عليه، بل لا يوجد مصدر محدد حول هذه المسألة، وشد هذا الكتاب انتباه الحوزة العلمية علماء وفضلاء وأساتذة، وأيقنوا أن علم الشيخ اليعقوبي لا يقاس بعدد سنوات تحصيله في الحوزة العلمية.

معالجة انقسام الحوزة والمجتمع:

والتحدي الرابع هو كيفية ردم الهوة السحيقة التي حصلت بين السيد الشهيدقدس سره والمراجع الآخرين، وانقسمت الحوزة بسببها

إلى حوزة (ناطقة) تتبع السيد الشهيدقدس سره وحوزة (ساكتة) تتبع المرجعيات التقليدية بحسب تقسيم السيد الشهيد نفسه، وانقسم تبعاً لذلك المجتمع الشيعي، وأدت إلى التناحر والتقاطع والتفسيق وغيرها، وكنت بعيداً عنه بفضل الله تبارك وتعالى، مع قربي من السيد الشهيدقدس سره لذلك كنت أعتقد أنني أستطيع أن أفعل شيئاً على طريق التقارب، ومن الخطوات العملية التي اتخذناها مع من يشاطرونني هذا الهم أنني اتفقت مع عدد من أخواني الأساتذة والفضلاء من المقبولين لدى المراجع الآخرين أن نقيم حفلاً في إحدى المدارس الدينية يشترك فيه الجميع، لتذوب الخلافات ويحصل التقارب، واخترنا ذكرى استشهاد الإمام الحسن السبط عليه السلام في السابع من صفر الموافق ١٩٩٩/٥/٢٣م الذي تلا استشهاد السيد الصدرقدس سره، وأقمنا مجلس عزاء في مدرسة الصدر الأعظم في مدخل شارع الإمام زين العابدين عليه السلام مع مأدبة عشاء، وحضرها حشد كبير مع ممثلي الجهات، واستمررنا على هذا النهج الذي اعترض عليه جمع من المتعصبين والمتطرفين.

التحدي الخامس: مواجهة الصنمية: والتحدي الخامس الذي كان يواجهني هو من داخل أتباع السيد الشهيدقدس سره، فقد نشأ خط عاطفي مندفع يسعى لتحويل قضية السيد الشهيدقدس سره إلى (حالة

صنمية)..

وفي مقابلهم كنت أنا والنخبة من طلبة السيد الشهيدقدس سره الذين كنا نرى فيهقدس سره مرجعاً وقائداً وحلقة من حلقات العلماء الرساليين الذين ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ (الأحزاب:٢٣) وأن البقاء للمبدأ والرسالة بعيداً عن (الشخصنة) وتذويب (الرسالة) في القائد مهما كان عظيماً في نفسه وفي الدور الذي أداه.

الخط المعتدل وتأييد السيد الشهيدقدس سره له:

وكان هؤلاء يعارضون خطواتي التقريبية لإعادة لحمة الحوزة ويعززون لغة العداء والتقاطع مع الآخرين) ... (وفي الحقيقة فإن هذا التباين في الرؤية والعمل بين الخطين كان منذ حياة السيد الشهيد الصدرقدس سره، كما ذكرنا في الفصل الرابع، وقد تحدثقدس سره عنه في لقائه مع مجموعة العاملين في المكتب، وسماهما بالخط المعتدل والخط المتطرف، وبين بوضوح أن الحق مع الأول، ورد على توهم الخط الثاني بأنهم أكثر ولاءً لهقدس سره.

العداء المرير:

وكان الخط المتطرف يحاول باستمرار إقصائي ومن معي

من المعتدلين بالتسقيط والتشويه وإلقاء الشبهات، لكن السيد الصدر قدس سره كان يقف سداً أمام هذه التجاوزات، ويحفظ لنا منزلتنا، وسنعود لبيان تداعيات هذا التباين بإذن الله تعالى.

السير على خط التضحيات:

وعلى أي حال فقد بدأنا العمل بفضل الله تبارك وتعالى برغم تلك التحديات وعالجنا كلاً منها بحسب ما اقتضته الحكمة واللطف الإلهي في تطبيق التكليف الشرعي، ووقفنا بإزاء الصعوبات التي كانت بعدة اتجاهات:

المواجهة مع نظام صدام:

(الأول): نظام صدام الذي فاق ببطشه وقسوته وجبروته ما سمعناه عن أمثاله عبر التأريخ، وقد كان يتربص بالحوزة العلمية وعلمائها العاملين وكل من له حركة اجتماعية لينتقم منه بألوان العذاب والقتل، وقد كانوا يشعرونني باستمرار أنهم يتابعون كل حركة لي ويعرفون كل صغيرة وكبيرة عني، ويوجهون التهديدات بلسان المشفق الناصح من خلال الاستدعاءات المتكررة لمديرية الأمن حيث يتولى الاستجواب معي مدير أمن النجف نفسه، أو بالحضور إلى مسجد الرأس الشريف المجاور لمرقد أمير

المؤمنين عليه السلام حيث كنت أمارس نشاطي العلمي والاجتماعي والتوعوي أو إلى مقر جامعة الصدر الدينية أو إلى الدار، ووصل حالهم إلى درجة من فقدان التوازن والتفكير أن يقتحموا مسجد الرأس الشريف في وقت إلقاء محاضرتي ويطلب مدير أمن النجف التحدث إلى الطلبة في حلقة درسي[1]، ولم تشهد الحوزة تدخلاً سافراً وجرأة كهذه؛ حيث يجلس مدير أمن النجف على كرسي التدريس و(يوجه) الطلبة و(ينصحهم) بترك العمل

(١) وهي من أوسع الحلقات العلمية يومئذٍ، ويصل تعداد الطلبة إلى حوالي المائة، وكنت أدسُّ بين محاضراتي العلمية في الفقه والأصول توجيهاتي الأخلاقية والفكرية والاجتماعية وتعليقاتي على بعض الأحداث وإحياء المناسبات الدينية، وإذا كان العدد أو المناسبة بدرجة من الأهمية فكنت أعطل الدرس ذلك اليوم وألقي محاضرة بالمناسبة حيث يحتشد عدد ضخم من فضلاء وطلبة لحوزة العلمية من خارج درسي حيث كانت تتقوض الدروس في مثل تلك المناسبات ليستمعوا إلى تلك المحاضرة التي أصبحت سنة معتادة في المناسبات ويمتلأ مسجد الرأس الشريف، وكان جلاوزة الأمن يرابطون عند الباب الخارجي ويتابعون بقلق هذه الأجواء، فقد كان منظر خروج الطلبة ــ وهم بهذه الأعداد الكبيرة ــ من المسجد بعد انقضاء المحاضرة كمظاهرة ضخمة للحوزة العلمية فيقلقهم هذا المنظر، مضافاً إلى الرقي بالوعي الإسلامي والحركي الذي أثمرته تلك المحاضرات.

الاجتماعي والحركي والانشغال بالدراسة فقط أسوة بالحوزة التقليدية ليجنبوا أنفسهم بطش السلطة فإنها لا تتسامح مع المخربين!!، حصل هذا مرة في مسجد الرأس وأخرى في جامعة الصدر الدينية.

ولضعفهم وعجزهم وهزيمتهم فقد تحّولوا بالضغط والتهديد إلى أهلي، فكان أحدهم يتصل هاتفياً من دون أن يبيّن هويته، ويأمرونهم بالضغط علي حتى أترك نشاطي الاجتماعي، وإلا فإنكِ ـ أي أهلي ـ سوف لا ترينه مرة أخرى.

المواجهة الداخلية: مع بعض المتلفعين بالعمائم:

(الثاني): الحوزة (الأخرى) كما كان يسميها السيد الشهيدقدس سره وهي الحوزة التقليدية التي توارثت الوقوف في وجه الحركات الإصلاحية، وشهدت فترة مرجعية السيد الصدرقدس سره تصعيداً كبيراً وتبادل اتهامات وتسقيطاً مقززاً، وقضى السيد الصدرقدس سره وهم لم يعترفوا باجتهاده فضلاً عن استحقاقه المرجعية، وهذا هو سلاحهم الفتاك الذي يشهرونه في وجه المرجعيات الحركية الواعدة، مستفيدين من رسوخ ذلك الخط المرجعي في الحوزة والمجتمع والأموال التي توظف كثيراً لشراء الضمائر

والولاءات.

فكان استشهاد السيد الصدر قدس سره يمثل (فرجاً) لهم تخلصوا به من هذا الكابوس الذي أقلقهم وأقضّ مضاجعهم وحاصر زعاماتهم، فكيف والحال هذه يسمحون ببروز قيادة جديدة فتية من هذا الخط؟

وهذا ما تحسب له السيد الشهيد قدس سره عند الإشارة إلي، فأجّل الرجوع بالتقليد إلى أن (يُشهَد) لي بالاجتهاد، وليس إلى أن (أبلغ) الاجتهاد، فقد كان مقتنعاً بحصول الملكة، إلا أن هذا غير كافٍ في أجواء الحوزة العلمية ما لم يقترن بجهد علمي يجذب انتباه الآخرين وينتزع اعترافهم وشهادتهم، أما القيادة فقد حصرها بالمرشح الوحيد وطلب الرجوع إليه في ذلك، إلى أن تجتمع القيادة والتقليد في خليفته، لأن الأعلمية منحصرة به، لأنه كان يتوقع الغياب السريع عن الساحة، والظروف غير مهيئة لطرح المرجعية، فليرجعوا إلى مجتهد مبرئ للذمة في التقليد ـ وأعلن أن سماحة آية الله الشيخ الفياض مصداق لذلك ـ وللمرشح الوحيد بالقيادة حتى تصبح الظروف مهيئة لإعلان المرجعية، فيرجعون إليه تقليداً وقيادة.

القيادة الميدانية:

وهذا ما قد حصل وسرت عليه، فلقد مارست القيادة ميدانياً مع الإعلان عن رجوعي ومن يتبعني إلى سماحة الشيخ الفياض فيما يحتاج فيه إلى الحاكم الشرعي، ولم تكن للشيخ الفياض مرجعية معروفة يومئذٍ، فأسّسنا ومعنا الكثير من المعتمدين والوكلاء وطلبة العلم الذين يتبعونني بذلك للشيخ الفياض مرجعية معلنة، وطبع على أثرها رسالته العملية.

وقد كنت مقتنعاً بهذا المسلك خلال تلك الفترة، لأنني وإن كنت مقتنعاً باجتهادي بدرجة من الدرجات يومئذٍ كما قدمت، إلا أنني أعتقد أن بين الاجتهاد والتصدي للمرجعية مدة من النضج والخبرة والممارسة والتجربة الاجتماعية، والمعروفية لدى الناس لأن كل ذلك من مقومات العمل والنجاح فيه بإذن الله تعالى، فلا داعي للاستعجال في مثل هذه الأمور الخطيرة التي تتطلب أقصى درجات الاحتياط، ولا أجد حاجة إلى الدعوة لنفسي، أو اتباع الأساليب المعروفة لكسب الأتباع والترويج الإعلامي، وإنما كنت أعتقد أن الله تعالى إذا أرادني لأمرٍ فسيهيئ أسبابه، وإن لم يردني فلا خير فيه.

وقد ساهم هذا التوجه بتطمين السلطة الجائرة بمقدار ما،

لأنهم يعلمون أننا لا نتصرف إلا بإذن المرجعية، وما دمنا نرجع إلى الشيخ الفياض (دام ظله الشريف) فلا يتوقعون صدور فعل يقلقهم بدرجة كبيرة. كما أن الأموال أصبحت واضحة المصدر والمصرف من وجهة نظرهم، ولا ارتباط لنا بخارج الحدود، وهو ما كانوا يبحثون عنه باستمرار للتأكد منه.

وساهم هذا التوجه في تخفيف الاحتقان بين الحوزتين بدرجة كبيرة وأصبح التقارب واضحاً بين الخط الصدري المعتدل والحوزة التقليدية. وللتأريخ نقول أن سماحة الشيخ الفياض كان داعماً لحركتنا الرسالية ومشجعاً لنا وأذن لمقلديه بصرف الحقوق الشرعية في طبع الكتيبات والمنشورات وتوزيع أشرطة تسجيل محاضراتي حسبما نقلوا لي.

من داخل البيت الصدري:

(الثالث) : من داخل الكيان الصدري)..

(فبدأوا بإقصائي تدريجياً من مكتب السيد قدس سره، فبعد انتهاء مدة التعزية وإغلاق الغرفة الكبيرة التي كان السيد الشهيد يستقبل فيها الزوار وجلسنا نحن في موضعه لتلقي التعازي واستقبال المعزّين، توجهت إلى غرفتي الأصلية لممارسة عملي الذي كنت

أؤديه في حياة السيد الشهيدقدس سره، وفوجئت ذات يوم وأنا أدخل المكتب بأنهم أجلسوا (فلان الفلاني) في الغرفة التي خصصها لي السيد الصدرقدس سره مقابل غرفته لاستقبال المراجعين وإجابة أسئلتهم وقضاء حوائجهم وفض نزاعاتهم ،ولما رأيت ذلك لم أعلق بكلمة وصرت أجلس في فناء الدار (المكتب) لأداء وظيفتي حرصاً على لمّ الشمل لأني كنت أرى في استمرار عمل مكتب السيد الشهيدقدس سره بالمنهج الذي سار عليهقدس سره استمراراً للحركة الإسلامية وإذكاءً للصحوة الدينية المتنامية التي انطلقت على يدي السيد الشهيدقدس سره.

وبدأت المضايقات لي لإبعادي، وفهمت الرسالة فقللت من حضوري إلا بمقدار (حفظ الظاهر) وعوضت عنه بممارسة نشاطي الاجتماعي ورعايتي للنشاطات الدينية وإطلاق حملة التوعية والإصلاح الاجتماعي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مسجد الرأس الشريف حيث كنت ألقي دروسي منذ حياة السيدقدس سره وكان يقصدني الواعون من الطلبة والشباب الرساليين وعموم الناس، وبدأ قطبان بالظهور: أحدهما مقر عملي في مسجد الرأس، والآخر مكتب السيد الشهيدقدس سره.

مع انتفاضة ١٧/آذار:

ثم بدأ دور المكتب بالانحسار إثر اعتزال نجلي السيد الشهيدقدس سره في الدار لهول الصدمة، واختفاء الكثير من العاملين فيه وهروبهم وخلعهم الزي الديني إثر فشل انتفاضة ١٧/ آذار/ ١٩٩٩م التي خُطط لها من قبل بعض الحوزويين والشباب الثائر من أتباع السيد الشهيد الصدرقدس سره ونفخت فيها بعض القيادات الدينية والسياسية خارج العراق مستفيدين من الهياج العاطفي لأتباع السيد الشهيدقدس سره المفجوعين والمندفعين نحو الانتقام من الظالمين، فجعلوهم وقوداً لنار مصالحهم فحرضوهم ووعدوهم بالمال والسلاح واتفقوا معهم على مهاجمة أوكار النظام في ساعة الصفر من يوم ١٩٩٩/٣/١٧ في عدة محافظات من وسط وجنوب العراق، وقد كان لبعض العناصر الرئيسية في المكتب دور في التحريض عليها والمشاركة فيها، ونسب أحدهم إلى السيد الصدرقدس سره قوله: (إنهم ــ أي السلطة ــ إذا مسّوا شعرة مني فاجعلوا الدماء إلى الركب)، وكانت سيرة السيد الصدر تكذّبهم، ولم يفاتحوني في هذه القضية لعلمهم بأنني أرفض التدخل فيها، ولكنني كنت أعلم بما يدور من كلمات وهمس، وعندما حانت ساعة التنفيذ خذلوهم وتبرؤوا منهم وقالوا إن الموعد أُجِل، فسقط الكثيرون من

المنتفضين المخلصين في نواياهم صيداً سهلاً بيد النظام فأعدم من أعدم وعذّب من عذّب وهدمت دورهم ولا زالت مهدّمة ومصادرة إلى الآن[1]..

تصدي السيد بحر العلوم:

(وتصدّى بعد السيد الشهيد قدس سره للمرجعية المرحوم السيد حسين بحر العلوم وطبع رسالته العملية، وأعلن دعمه لصلوات الجمعة الموجودة، وأعطى إذناً بالاستمرار بها، كما راجعه جملة من وكلاء السيد الشهيد وأئمة الجمعات، وجدّدوا الوكالات منه، لكنه اعترف بضعفه وعجزه عن السير بنفس خطى السيد الشهيد، ومما نقل عنه قوله: إن موقفاً من مواقف السيد الشهيد في مواجهة النظام كافٍ لإصابتي بالسكتة القلبية. وكان فعلاً يشكو من اعتلال في صحته.

وحاولت السلطة أن تستفيد من تصدّيه للمرجعية لاحتواء الصدريين وكبح جماحهم وتهدئة عواطفهم، لكنه رحمه الله لم يستطع

(١) صدر كتاب ضخم للكاتب عبد الكريم خليفة ــ وهو وأسرته وأقرباؤه ممن اعتُقلوا في الحادثة وهُدِّمت دورهم ـ يؤرخ لهذه الانتفاضة وتفاصيلها خصوصاً في البصرة.

أن يحقق رغباتهم (الصدريين)، وأرادوا نقل إدارة المدارس الدينية إليه من مكتب السيد الشهيدقدس سره فاعتذر بعدم قدرته على القيام بذلك، وليس له من الأتباع ما يكفي لإدارة العمل، وكان صادقاً مع نفسه ومعهم، ولم يخدعهم كغيره، فانفضَّ كثير منهم عنه، وبقي له وجود محدود جداً حتى توفي في ٢٨/ربيع الأول/١٤٢١ هـ

مآل مكتب الشهيد الصدرقدس سره:

وآل أمر المكتب إلى الاضمحلال تدريجياً لعدم وجود من تقصده الناس فيه، وكان قاصمة الظهر حادث التفجير الذي وقع لموكب المقبور محمد حمزة الزبيدي (الذي كان نائباً لرئيس الوزراء) حوالي منتصف آب ١٩٩٩ فأمرت السلطة بإغلاق مكتب السيد الشهيدقدس سره بحجة أنه من يقف وراء مثل أعمال العنف هذه. وفرَّ أكثر العاملين فيه والمتزلفين له وخلعوا زيّهم الديني، وهرب قسم منهم إلى خارج العراق لأنهم اعتقدوا أن غلق المكتب هو مقدمة لاعتقالهم والتحقيق معهم، خصوصاً من ورد اسمه في ملف انتفاضة ١٩٩٩/٣/١٧.

لقاء أمن صدام بنجل السيد الشهيد ومرافقتي له:

وبعد أيام اتصل بي نجل السيد الشهيدقدس سره وأعلمني أن

مدير الأمن العام طلب لقاءه في بغداد للتداول في أمر المكتب وأنه يريدني أن أكون معه ـ ولم أسأله إن كان ذلك برغبة ذاتية منه أو بإيحاء من ذلك المدير ـ، ولم يسعني الرفض إكراماً للسيد الشهيدقدس سره وحباً لأولاده (فإن المرء يكرم في ولده)، وحدد اللقاء يوم ١٩٩٩/٩/١ في مكتب المدير العام في إحدى ضواحي بغداد الشمالية فخرجنا ومعنا السيد رياض النوري (الذي بدا من خلال الحديث أن له علاقة حميمية مع هذا المسؤول) والسيد سلطان كلانتر صهر السيدقدس سره وأعلمنا مدير أمن النجف أنه سيلتحق بنا عند دخولنا بغداد لمرافقتنا وإيصالنا إلى المكان المقصود، وحصل ذلك فعلاً حيث كان بانتظارنا في مدخل مدينة بغداد.

واستمر اللقاء أكثر من ساعتين حضره مع المدير العام معاونه للشؤون السياسية والذي أصبح مديراً عاماً للأمن العام بعد ذلك وانتقل هذا المدير ليكون مديراً لجهاز المخابرات حتى سقوط صدام (أجارنا الله من شياطين الجن والأنس وشرورهم ومكائدهم).

وبعد أن كال (السيد العام) ـ كما يسمونه ـ النصائح لنجل السيدقدس سره ومن معه باعتبارهم (صغاراً) قليلي الخبرة من وجهة نظره، والقضية خطيرة لأنها تتعلق بمعارضة نظام حكم وأن الأمر أكبر مما يتصورون وأنه مشفق عليهم، على طريقة أزلام النظام من

التعالي والغرور وهو يستدير يمنة ويسرة على كرسيه الدوار، وعرض خدماته، وأتذكر أنه أمر بكمية كبيرة (كارتون) من علب السكائر الأجنبية من النوع الذي يدخنه نجل السيدقدس سره، بعد أن سأله عن ذلك، محاولاً جعل الجلسة ودّية.

ثم تحدث عن موضوع غلق المكتب وقال عن سبب ذلك أن تقارير كثيرة تصلنا عن تورط بعض أعضائه في أعمال العنف وآخرها القنبلة التي تعرض لها موكب الزبيدي، فأمرنا بإغلاقه، لنرى إن كان المكتب هو المسؤول فعلاً، فسوف تتوقف العمليات بغلقه، وإن استمرت فهذا يعني أن المكتب ليس مسؤولاً عنها.

ولما رأيته يتحدث باستخفاف ويحاول تسويق الأمر ببساطة، بدأت بالحديث فسأل عني ـ لأنه كان يعرف الاسم ولا يعرف الشخص ـ فأخبره الوفد بذلك، ولم يكونوا عرّفوه لي عند دخولنا، فرحب بي وتحدثت عن دور المكتب في احتواء أتباع السيد الشهيدقدس سره وضبط عواطفهم بما لا يؤدي إلى الإخلال بالنظام الاجتماعي العام باعتبار ذلك وظيفة دينية ووطنية، ولولا هذا الدور لتلاقفت الأيدي الخارجية هؤلاء المندفعين وسخروهم لتخريب العراق والإضرار بشعبه ومؤسساته، فلا بد من السماح للمكتب من الاستمرار بالعمل ليؤدي دوره الايجابي ويحفظ أتباع السيد الصدر

من الانزلاق في طريق العنف والمواجهة مع السلطة لو قُدِّر لجهات أجنبية أن تسخّرهم لذلك، وأضفت أن المكتب لا يزال يشرف على المدارس الدينية في الحوزة العلمية وينفق عليها، وهذا يتطلب أموالاً وإدارة، فكيف يستمر فيها مع إغلاقه؟! وهنا عدّل من جلسته وصحا من سكر غروره وتكبره، وأيد أهمية هذا الدور وسمح بمعاودة هذا النشاط ـ أي تسلّم الحقوق الشرعية وإدارة المدارس الدينية ونحوها ـ، لكنه أصر على إغلاق مكتب السيد الشهيد قدس سره المعروف، وسمح بممارسة العمل في أي مكان نشاء)..

الانطلاق من مسجد الرأس:

(ولما كان نشاطي متواصلاً في مسجد الرأس والناس تراجعني فيه، وفيه ذكريات السيد الشهيد قدس سره لذا فقد وقع عليه الاختيار لكي يصبح المقر الجديد لعمل المكتب، والتحق بي عدد يسير ممن كان يعمل في المكتب ـ حيث هرب الأكثر كما قلنا ـ لقبض الحقوق الشرعية وتوزيع الرواتب والمساعدات على طلبة العلوم الدينية، والإنفاق على المدارس الدينية وإدارة شؤونها، هذا بالنسبة للأموال التي تدفع إلى عنوان المكتب، وكان البعض من المتورعين يدفعها إليَّ باعتبار الإذن من سماحة الشيخ الفياض،

وكانت الأموال المسلمة إلى المكتب تنقل يومياً إلى نجل السيدقدس سره الذي آثر الاعتزال في داره عملاً بالتقية المكثفة –كما وصف ـ بعد المحن التي مرّت به ـ، وهو يصرفها على مواردها المقررة، بواسطة هذا العدد اليسير، بعد أن حصل على الإذن في القبض والصرف من سماحة السيد كاظم الحائري ـ على ما قيل ـ أما أنا ومن كان يراجعني مباشرة، فكنت أنقل الأموال إلى سماحة الشيخ الفياض وأراجعه في الأمور التي تتطلب إذن الحاكم الشرعي كما أسلفت.

وقد ساهمت هذه التغيرات... في بروز عمل المكتب بحلّة جديدة معتدلة وتستند إلى الحركة العلمية الدؤوبة ـ حيث كان المسجد يغص بالحلقات الدراسية على مختلف المستويات ـ والمحاضرات الفكرية والأخلاقية، وأصبح المكتب ممثلاً بي ومن معي يمثل قيادة واعية ومتزنة للنشاطات الدينية والحركة الإسلامية وبدأت حركتي تشد الأنظار وتستقطب المثقفين والأكاديميين والشباب الرساليين وفضلاء الحوزة العلمية، حيث كان درسي في الفقه والأصول أوسع الحلقات العلمية حضوراً ومن مختلف التوجهات المرجعية، حيث لم يستطع الاستغناء عن حضور درسي الفضلاء من مقلدي المرجعيات الكبيرة، فشهد مسجد الرأس

توافدهم في حالة غير مسبوقة، حيث كانت المقاطعة التامة هي التي تحكم العلاقة بين الحوزتين، ويعد مسجد الرأس عندهم (صدرياً).

المحاضرات العامة: أسلوب جديد في التصدي للعمل الإسلامي:

كما كانت محاضراتي الأخلاقية والفكرية التي كانت تتصاعد في عمقها ووعيها كلما ازداد وجودي ثباتاً وشعبيتي قوة إذ لم يكن عندي حرز إلا درع الله الحصينة وقاعدتي الجماهيرية وإيماني بقضيتي.

وشكلت محاضرات (شكوى القرآن) العشرة التي افتتحت بها درس (كفاية الأصول) في الدورة الثانية والتي بدأت بعد ١٩/ محرم/ ١٤٢٢هـ (٢٠٠١/٤/١٤م) واستمرت أسبوعين: شكّلت نقلة نوعية في مستوى الفكر الذي نتعاطى معه، وأوجدت أجواءً روحية في ظل القرآن الكريم، وكان فيها ما يضاهي أفكار السيد الطباطبائي قدس سره صاحب الميزان والشهيد السيد الصدر الأول قدس سره في تفسيره الموضوعي والشهيد سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن)، وقد طبعت في كتاب بنفس العنوان وانتشر في أوساط الشيعة والسنّة وأثَّر في الكثيرين ولا يزال يُعاد طبعه، وكان فيه تحدٍ

واضح للسلطة، وتجاوز للخطوط الحمر سواء على صعيد رفع مستوى الوعي الإسلامي، أو على صعيد انتقاد أساليب السلطة ورفع المعنويات في مواجهتها[1].

وكان اللطف الإلهي يسددني في اغتنام بعض المناسبات الدينية والأحداث الاجتماعية لإلقاء كلمات وخطب في الأخلاق والموعظة والفكر والعمل الاجتماعي الذي كان يلامس السياسة بالمعنى الذي نريده، وهو الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانت طريقة استغلال المناسبة تثير الإعجاب، فطرحت مثلاً في ذكرى ميلاد الإمام الحسين عليه السلام مشروع الفقه الاجتماعي، باعتبار أن هدف الإمام الحسين عليه السلام من حركته هو الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما من تطبيقات الفقه الاجتماعي فألقيت محاضرة بعنوان (الأسس العامة للفقه الاجتماعي).

وفي ذكرى وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ألقيت محاضرة كان وقعها شديداً على الطغاة بعنوان (ماذا خسرت الأمة حينما ولت أمرها من لا يستحق) باعتبار اغتصاب الخلافة من صاحبها الشرعي وذكرت فيها جملة من الكوارث المترتبة على ذلك، ولكنني ذكرت فيها أن

(١) راجع فصل (جاهلية اليوم) وفصل (فقه المواجهة مع الكفار والطواغيت).

هذه النتائج السيئة التي تسببت جارية في كل زمان ومكان ما دام الحكام مبتعدين عن الصفات الحقيقية التي يريدها الله ورسوله صلى الله عليه وآله وهي بذلك تشمل النظام القائم بأدنى تفكير.

وفي نفس المناسبة حيث يصادف تصدي أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة والإمامة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو شاب في الثالثة والثلاثين ألقيت سلسلة محاضرات بعنوان (الحوزة وقضايا الشباب) تناولت جملة من القضايا المهمة التي تهم الشباب وتوجيه الحوزة العلمية إزائها وحلولها لمشاكلها.

وفي ذكرى زواج أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة الزهراء عليها السلام تحدثت عن (الزواج والمشكلة الجنسية) وقدمت عرضاً للمعوقات وكيفية علاجها.

وكنت أعدّ هذه الكلمات ــ التي قد تصل إلى عشرين صفحة أو أكثر مع ما فيها من أفكار غزيرة وآيات وأحاديث شريفة ــ في ليلة إلقائها غالباً على شحّة المصادر وعدم توفر الوسائل المساعدة كالكومبيوتر ونحوه، وكانت بعض الكلمات تأتيني ارتجالاً بحسب المستجدات أثناء الدرس، كالذي صادف يوم الاحتفال بما يسمى بـ(فرحة الزهراء) الذي يُحتفل به يوم ٩/ربيع الأول، وشرعت في تحليل أصل هذه الفرحة في بيان دقيق

يعجز عنه حتى من يعد للمحاضرة أياماً عديدة، وما ذلك كله إلا بفضل الله تبارك وتعالى وألطافه الخفية.

ومن طرائف هذا الارتجال واستثمار المناسبة ما حصل في بعض الأيام، حينما ضاق بنا المكان الذي نتخذه لإلقاء الدرس على يمين الداخل إلى المسجد فطلب الطلبة الانتقال إلى صدر المسجد لتزداد المساحة المخصصة للحاضرين فوافقتهم، وتحدثنا في هذه المناسبة عن حنين هذا الموضع لتجمعنا ودرسنا حيث سنفارقه ويفارقنا بعد أن كان موضعاً لنزول البركات، لأن حلق العلم روضة من رياض الجنة، وذكرت ما روي عن حنين الجذع الذي كان يستند إليه رسول الله صلى الله عليه وآله عندما يخطب، ففارقه صلى الله عليه وآله بعد أن اتخذوا له منبراً، والعلاقة العاطفية بين النبي صلى الله عليه وآله وجبل أُحد الذي استشهد عنده عمّه حمزة وسبعون صحابياً حينما مر به وقال صلى الله عليه وآله: «إن أحداً جبل يحبنا ونحبه».

ويصادف أحياناً أن تدمج أكثر من مناسبة في حديث واحد لا يستطيع الربط بينها إلا ذو حظ عظيم، مثلاً أقامت جامعة الصدر الدينية احتفالاً خلال شهر جمادى الثانية للاحتفال بيوم الجامعة (وهو ٥ جمادى الثانية) الذي يصادف ذكرى زيارة السيد الصدر قدس سره لها ولقاءه بالطلبة وإعلانه للمرشح الوحيد وبذكرى

ولادة الزهراء عليها السلام (٢٠ جمادى الثانية) التي شهدت عام ١٤١٨هـ انطلاق صلاة الجمعة المباركة، فارتجلت كلمة تربط بين هذه المناسبات (ولادة الزهراء، إقامة صلاة الجمعة، جامعة الصدر، استخلاف القيادة النائبة) بانسجام عجيب، ثم لما رأيت فكرتها عميقة، نقحتها وألقيتها في مسجد الرأس الشريف في ذكرى عيد الغدير بعنوان (كيف خطط رسول الله صلى الله عليه وآله للخلافة من بعده) وحذفت منها خصوصيات جامعة الصدر وما يتعلق بخلافة السيد الصدر قدس سره لتكون عامة ولأنني كنت أخفي قضية وصية السيد الصدر للمرشح الوحيد وشريط التسجيل لحديثه قدس سره.

ثورة (الكاسيت) والمنشور:

وأخذت هذه المحاضرات تأخذ صداها في الحوزة والمجتمع، وراحوا يترقبون مناسباتها فيمتلئ مسجد الرأس على سعته بالحضور وتسجل وتنتشر أشرطة التسجيل في المحافظات، بل انتقلت إلى خارج العراق وكان لها صدى وتأثير على العراقيين المهاجرين من بطش النظام في إيران وسوريا وغيرهما، وبعث الأمل من جديد ببروز قيادة واعية حكيمة للحركة الإسلامية في العراق الدامي، ويقول بعض أصحاب مكاتب التسجيل وبيع أشرطة

التسجيل في كربلاء[1] أنه يبيع حوالي ٣٠٠٠ شريط في كل ليلة جمعة، حيث يفد الزوار إلى ضريح أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وكانت هذه المحاضرات تطبع وتنشر مضافاً إلى كتب متنوعة بحسب ما تقتضيه حاجة العمل الإسلامي والإصلاح الاجتماعي وقضايا الأمة. وقد أحدثت بعض هذه الكتب منعطفات في حياة الشباب والمثقفين والمهتمين بالوعي الإسلامي، ككتاب (شكوى القرآن) و (فقه طلبة الجامعات) و (فقه المرأة المسلمة) حيث طبعت منها آلاف النسخ عدة مرات إلى الآن، وكانت توزّع على مدى واسع في الجامعات والمساجد وسائر التجمعات.

واقترن مع هذه الحركة نشاط من نوع آخر، وهي المنشورات بأشكالها من البيان والاستفتاء والمقالة والكتيب والكتاب التي كنت أكتبها بنفسي أو أكلّف أحد بتحريرها بعد أن أعطيه الخطوط العامة والأفكار، ثم أراجع ما يكتب وأنقّح وأصحح حتى تبلغ الشكل المقبول، وقد آزرني في هذه الحركة ثلة من الطلبة العاملين خصوصاً من جامعة الصدر الدينية، لكني لم أكن أكتب الاسم الصريح لأي واحد على الكتب والمنشورات

(١) صاحب تسجيلات (السفينة).

حرصاً على سلامتهم، وأكتفي بذكر أسماء حركية، وقلت لهم: (اعصبوها برأسي).

وكانت هذه الكتب والنشرات تنتشر بسرعة وبكثافة حيث تطوع العديد من الشباب الرساليين لاستنساخها وتوزيعها مع ما كان يمثل هذا من تحدّ للسلطات الأمنية، وأعتقل بسبب ذلك عدد منهم، كما تطوع آخرون لإيصالها إلى المعتقلين في سجن أبي غريب، الذي ضمّ الكثير من الشباب وطلبة الحوزة العلمية ممن اعتقلوا في أيام تصاعد الحركة الثورية للشهيد الصدر قدس سره وبعد استشهاده، وكانت تصل إليهم خلال ما يعرف (بالمواجهة) بين السجناء وزائريهم في مواعيد محددة وعبر آليات متنوعة لئلا تقع بأيدي الجلاوزة.

فمثلّت هذه الكتب والنشرات لهم سلوة وأملاً بتواصل النهج الذي سلكه السيد الشهيد الصدر قدس سره.

وقد تنوعت هذه المنشورات لتغطي ساحة المواجهة إزاء كل التحديات، وتلبي الحاجة في مختلف الحقول، فعلى صعيد تبليغ الأحكام ونشر الفقه لدى الناس جميعاً وتقنين أفعالهم وفق الشريعة الإسلامية بدأنا بتطبيق الفقه الاجتماعي بلحاظ الشرائح الاجتماعية ومخاطبة كل شريحة بفقهها الخاص، فصدر (فقه

العمال والموظفين والصيادين والحلاقين والخياطين والأطباء والصيادلة والمرأة والمعلمين والأسرة والتعامل بالدولار والشعائر الحسينية والزيارات ونحوها كثير.. حتى فقه تجارة العتيق التي كثرت يومئذٍ بسبب حرمان الناس وعوزهم)؛ ومن الطريف أن بعض باعة العتيق تفاعلوا مع الكتاب المختص بهم، فتبرع أحدهم بطبع ونشر مائتي نسخة على نفقته.

ولتحذير المجتمع من بعض الدعاوى الدينية والطرق المضللة المبنية على الدجل كتبنا في أدعياء السفارة المهدوية والسلوكية وما يسمى بالطريحة وأصحاب النور والمزارات المنسوبة إلى أولاد الأئمة المعصومين عليهم السلام وبعض الطرق الصوفية.

كما كرسنا نشرات عديدة لموجات الإفساد الأخلاقي التي كانت تنشر الخلاعة والانحلال بطرق عديدة؛ كنشر الصور الفاضحة مع الألبسة النسائية أو مع علب المنظفات أو في الحلويات ونحوها. وتارة باسم الرياضة وأخرى باسم الفن والثقافة وحذّرنا خصوصاً من القناة التلفزيونية التي أحدثها المقبور عدي صدام باسم (تلفزيون الشباب) تجاوز فيه على الآداب والأخلاق الاجتماعية فأصدرنا كتيب (أحذر في بيتك شيطان) وبعض المنشورات الأخرى وحصل ضغط على القناة مما اضطر عدي إلى

تحميل مديرها المسؤولية فعزله وخفّف من مجون القناة.

وكنا ننبه إلى التيارات الفكرية التي تريد حرف المجتمع خصوصاً الشباب عن الطريق المستقيم، وقد كان من أكثرها تأثيراً ما كتبه المهندس عالم سبيط النيلي الذي ألّف أولاً كتباً استهوت المثقفين كالطور المهدوي وغيره، ثم لما رأى الإقبال على كتبه قدّم نظرية اللغة الموحّدة التي ادعى عند طرحها أن فهمها يؤهل معرفة معاني القرآن والروايات وتنتفي الحاجة إلى المجتهدين ومراجع الدين، وقد تأثر به جمع وتركوا التقليد، فكتبت كرّاساً بعنوان (نظرية اللغة الموحدة في الميزان) أوردت فيه على النظرية أكثر من ثلاثين نقضاً، وأثار الكراس حفيظة المتأثرين به وغيظهم؛ لأنه أحبط حركتهم، وما لبث الرجل أن مات بعد ذلك.

وخصصنا جزءاً مهماً من نشراتنا لبيان أبعاد شخصية المسلم وإثارة غيرته على هويته وخصوصياته وإلفات نظره إلى محاولات تذويب هذه الشخصية في النموذج الغربي وتمييعها وإفراغها من محتواها.

وكنّا نشخص بدقة المشاكل التي تعاني منها الأمة ونبيّنها ونوقظ الناس من الغفلة عن خطورتها، ونقدّم أفكاراً لمعالجتها، كمشكلة العنوسة والفقر والأيتام والأرامل وبعض التقاليد

الاجتماعية البالية والظواهر المنحرفة والإشاعات الهدامة المخرّبة لثقافة المجتمع وعقائده، وصدرت كتيبات وبيانات في كل هذه القضايا.

الحركة الإسلامية تلتقط أنفاسها:

وهكذا أخذت الحركة الإسلامية زمام المبادرة في المواجهة مع النظام ومع كل تحديات الفساد والانحراف والخواء الروحي وانهيار القيم، ونفضت غبار الكسل والإحباط واليأس الذي ساد بعد استشهاد السيد الصدر قدس سره.

وكان النظام يعتبر كل هذه الحركة موجهة له، لأنه لا يريد للشعب أن يستيقظ ويكون واعياً؛ لأنه سيدرك أن السبب الرئيسي لما يحل به هي حماقات النظام وسياساته الخرقاء.

تقريرات الأمن ضدنا:

وقد وجد بعض الإخوة في إحدى وثائق مديرية الأمن العامة بعد سقوط النظام وأوكاره بيد الشعب رسالة موجهة من مدير أمن بغداد المدعو اللواء عباس إلى مدير الأمن العام يذكر فيها أن له شرف السبق إلى التنبيه على خطورة حركة الشيخ محمد اليعقوبي وأنها تشابه حركة السيد محمد باقر الصدر نحو الشباب والمثقفين في السبعينيات.

اجتذاب المثقفين:

وبتنامي هذه الحركة المباركة فقد أخذت معالم الخط الصدري الحقيقي ــ باعتباره طليعة الحركة الإسلامية ــ تبرز بوضوح ويستعيد ثقته بنفسه، وبدأ باجتذاب المثقفين الأكاديميين والشباب، وابتعد عن العنف والصِدام والتسقيط الذي كان من المخلّفات السيئة التي تحمّلت وزرها بسبب تصرفات بعض المحسوبين على السيد الصدرقدس سره، وغيَّر الكثيرون تقليدهم إلى السيد الصدرقدس سره مستندين إلى فتوى بجواز تقليد الميت ابتداءً إذا كان هو الأعلم، وازدادت القاعدة الصدرية وتميزت بحركتها ونشاطها وأهدافها.

المناورة مع السلطة:

وبدأ القلق يساور السلطة، وأخذت تتابع هذه الحركة وتراقبها وتعتقل من تشتبه بهم وتحقق معهم لمعرفة كيفية إدارتها بهذه السعة والانتشار وأسماء العاملين فيها وأبلغوني أكثر من مرة أن هذه الإصدارات غير مجازة وتعتبر مخالفة، وكنت أناور معهم بما يخفف الاحتقان فتارةً أُوضّحُ لهم أن مضامين المنشورات خالية من السياسة، وأن الهدف منها إصلاح المفاسد والانحرافات

الأخلاقية، وهو من صميم عملنا كحوزة علمية، والمفروض أنه عمل يصب في مصلحة الدولة التي هدفها إصلاح حال الناس وإسعادهم.

وتارةً أنفي مسؤوليتي عن تأليف بعض الإصدارات وهو حقٌّ؛ لأن بعضها يكتبها غيري بإشرافي وتوجيهي ومراجعتي.

ومما يذكر في هذا المجال أنه طُرق باب الدار عليَّ بعد عودتي من صلاة المغرب والعشاء فخرجتُ، وإذا بأربعة من الرجال بزيٍّ أنيق قد ترجّلوا من سيارة ذات دفع رباعي تستعملها الحكومة، وتقدّم أحدهم وعرّف نفسه بأنه نائب شيخ الطريقة الكسنزانية ــ التي ينتمي إليها ويرعاها عزة الدوري نائب صدام وآخرون ويحضرون جلساتها وطقوسها ــ الدكتور فلان وأن مجيء هذا الوفد لإيصال رسالة عتب من شيخ الطريقة لما ورد في كتيب صدر بإشرافنا ضمن سلسلة نحو مجتمع نظيف عن أدعياء السفارة وأصحاب النور والطرق المضللة للسذج وذكر اسم شيخ الطريقة فيه، وحدّدوا لي الصفحة ولا زلت أتذكر أنهم قالوا ص٩٢، وأظهرت لهم عدم علمي بالتفاصيل، فأبرزوا لي الصفحة من الكتاب، وهنا قلت لهم: هل الكتاب من تأليفي؟ قالوا: كتب عليه أنه بإشرافكم، قلت: هذه كتابات لبعض طلبة العلم يرغبون بنشرها

وأكتب اسمي كمشرف عليها لترويجها، ومن وظائفي رعاية الأقلام الناشئة وتشجيعها ولا أعرف كلَّ الذين يراجعونني، فرضوا بهذا العذر وبدأوا يتحدثون عن طريقتهم، وأنها متصلة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. هذا كله جرى في باب الدار ولم أدعهم للدخول لأنهم أربعة وأنا واحد، فأردت أن أكون أمام الناس؛ لأن الشارع لا زال سالكاً والليل في أوله.

محاولة السلطة تحجيم الحركة الإسلامية:

ولتحجيم هذه الحركة والسيطرة عليها فقد عرضوا[1] ـ مكراً ـ أن تقدم المطبوعات عبر الطرق القانونية –أي الدائرة المختصة في وزارة الإعلام مع لجنة خاصة من وزارة الأوقاف– لمراجعتها وسيجيزونها ليكون نشرها قانونياً، وكان الهدف تعويق هذه الحركة وتحجيمها ووضع هذا النشاط تحت سيطرتهم، وكنت أعلم أنهم لا يجيزونها فقد كنت قدمت قبل ذلك كتاب (الرياضيات للفقيه) لمنح إجازة الطبع فمنعته الرقابة على المطبوعات مع أنه كتاب علمي خالص، ولكنني أبديت موافقتي على العرض وقدمت لهم

(١) بواسطة العميد مدير السياسية والدينية في مديرية الأمن العامة، والعميد مدير أمن محافظة النجف.

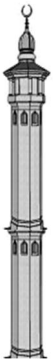

كتاب (من وحي الغدير) وواصلت طباعة الإصدارات الأخرى لتبدو وكأنها صدرت قبل هذا الوقت، وإنني ملتزم بهذا الأمر، وفشلت خطتهم ولم يجيزوا هذا الكتاب أيضاً.

نقد السلطة وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومما زاد قلق النظام صدور مواقف وبيانات سياسية تشعر بأنها تستهدفه بشكل مباشر، وهو الذي لا يرضى بأقل من ذلك، بل يرفض بشدّة أي توجه توعوي حركي أو سياسي للحوزة العلمية، فقد ندّدت في أكثر من بيان وكتيب بالتوجه الإفسادي للرياضة، حيث كان يرأس المقبور ابن المقبور عدي صدام حسين اللجنة الأولمبية، ونشرنا بياناً وكتيباً بعنوان (احذر في بيتك شيطان) لفضح البرامج الرذيلة التي كان يعرضها تلفزيون الشباب الذي كان يديره عدي، مضافاً إلى موقفنا الصريح والواضح برفض قرار الحكومة بإلزام الطالبات بالتقاط صور بدون غطاء الرأس في هويات المشاركة في الامتحانات العامة، فعطّلت درسي فور علمي بالقرار وألقيت محاضرة لبيان خطورة هذا القرار ومخالفته للشريعة، والمطالبة بإلغائه، وطبعت المحاضرة في منشور ووزِّع بكثافة ووصل إلى مسؤولي النظام، فألغوا على الفور قرارهم السابق،

وحاولوا تأويله بأنهم ما أرادوا خلع الحجاب وإنما أرادوا عدم المبالغة فيه بحيث تغطي البنت أجزاءً من وجهها.

ونشر لي في مجلة الكوثر تعليق عن العمليات الاستشهادية التي استهدفت الصهاينة الغاصبين في فلسطين، وقلت فيه أن أول من سنَّ العمليات الاستشهادية هم الفتية الذين نصروا الحسين عليه السلام، حيث كان أحدهم يلقي نفسه وسط جموع العدو التي فاقت سبعين ألفاً، ومثل هذه الروحية ترعب النظام وتقلقه ويخشى من سريانها إلى الشعب.

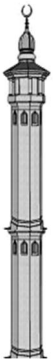

خطوات أدخلت الرعب على نظام صدام:

كما كانت ترعبهم الخطوات العملية التي تؤدي إلى تدريب الناس على الطاعة والانقياد لأوامر القيادة الدينية، كالذي حصل عندما ألزمت بمقاطعة السيكاير الأمريكية والبريطانية والفرنسية رداً على إعلانهم العداء للإسلام ووصف المسلمين بالإرهابيين، وأن صراعهم الحضاري القادم هو مع الإسلام، وأن الإسلام هو عدو الغرب بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، واخترت تحريم السيكاير لضررها أصلاً على الإنسان، وأصدرنا كتيباً بعنوان (حتى متى التدخين) لبيان تلك الأضرار صحياً واقتصادياً واجتماعياً وأخلاقياً،

وكانت تجارة السيكاير بيد أولاد صدام ومقربيه، فاستجاب المؤمنون للمقاطعة، وأثَّرت بشكل واضح على هذه التجارة، مما دعا الشركة الرئيسية التي كانت تسيطر على السوق العراقية إلى أن تبعث مندوبها من الأردن لمقابلتي[1] في مسجد الرأس، وعرّف نفسه بأنه (الشيعي) الوحيد بينهم، وكأنه لاستدرار عواطفي، وحاول بخبث أن يعزل بيني وبين القواعد التي نفذّت الأمر، وقال: إن بعض الجهلة نسبوا إلى حضرتكم هكذا قرار، فرددت عليه بحزم وقلت له: إن القرار صادر مني فعلاً، ولا يحق لك أن تسمي المؤمنين الملتزمين بالأوامر الصادرة من الحوزة (جهلة) وأنت تصف نفسك بأنك شيعي.

ثم قال بلغةٍ لا تخلو من إغراء بأن القرار تسبب في تعطيل آلاف (الكارتونات)[2] من السيكاير في المخازن، وكل (كارتون) تكلفنا رسومه (٩) دولارات، قلت له: هذا شأنكم وعليكم أن تلتزموا بهذا القرار كأبسط إجراء لمواجهة عدوان الغرب ولحماية صحة الناس من هذا الداء، وهنا انتقل إلى التلويح بالتهديد، فقال:

---

(١) كان اللقاء يوم ٢٠٠٢/٦/١٠ م الموافق ٢٩/ربيع أول/١٤٢٣ هـ

(٢) الكارتون يضم (٥٠) مجموعة المعروفة بالكروص التي تضم الواحدة ١٠ علب.

للعلم فإن للشركة فرع وحيد في العراق ومقره في تكريت (وهي أصل صدام وأزلامه)، ولم ألتفت إليه وانتهى اللقاء.

تصعيد الخطاب الديني أبان أحداث ١١/سبتمبر ٢٠٠١:

وحينما وقع الهجوم بالطائرات على برجي التجارة العالمية في نيويورك في ١١/ سبتمبر ٢٠٠١ وأعلنت الولايات المتحدة عداءها للعالم الإسلامي وصعَّدت من لهجتها ضد العراق بحجة الحرب على الإرهاب، جعلت هذه المواجهة ذريعة لتصعيد مستوى الخطاب الديني وإبراز الجوانب الحضارية للإسلام وإذكاء روح العمل الإسلامي وحث الأمة على إقامة دولة العدل الإلهي وبناء الإنسان الصالح لتعبئة الأمة أخلاقياً وفكرياً وثقافياً وعقائدياً؛ لتستطيع استيعاب التحديات التي ستواجهها عند حصول الاحتلال الغربي الذي كان يجري الحديث عنه ونتابعه من الإذاعات (حيث لم يكن جهاز الستلايت متاحاً ولا يعرض التلفزيون الرسمي إلا أخبار النظام).

الصراع الحضاري مع الغرب:

ففي مناسبة قرب شهر محرم الحرام / ١٤٢٣هـ حيث تتعطل الدراسة في الحوزة العلمية وينطلق الطلبة والخطباء للتبليغ

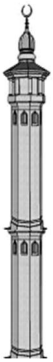

الإسلامي، ألقيت محاضرة بعنوان (ما هو تكليفنا في الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب)[1] شكلت نقلة نوعية في مستوى الفكر ثم أعقبتها عدة محاضرات في مناسبات مختلفة وجمعت في كتاب (نحن والغرب) الذي طبع قبل سقوط النظام ولاقى انتشاراً واسعاً، وكانت هذه الكتب التي تطبع سراً في النجف الأشرف تصل إلى خارج العراق وتعاد طباعتها فيما بعد في قم المقدسة من قبل مركز الإمام المهدي عليه السلام للدراسات الإسلامية الذي أسسه بعض الصدريين المهاجرين إلى إيران من بطش النظام ويعنى بنشر فكر الشهيد الصدر الثاني قدس سره والشيخ اليعقوبي، فأصبح صداها وتأثيرها يتردد خارج العراق.

مواصلة الحركة الإسلامية لجهود الشهيد الصدر:

وهذا السبب مضافاً إلى غزارة الإنتاج وتنوع الفكر والعمل بمديات واسعة وبآليات جديدة لم يكن يتوقعونها وظنهم بأنهم قضوا على السيد الصدر قدس سره وحركته، فلا يوجد من يواصل رسالته: ولّد تصوراً عند السلطة أن هذه الكتب تؤلف من قبل علماء خارج العراق وتطبع وتسوق داخل العراق بالتنسيق مع الشيخ

(١) ألقيت بتأريخ ٢٧/ذي الحجة/١٤٢٢ هـ الموافق ٢٠٠٢/٣/١٢م.

اليعقوبي حيث يوضع اسمه على الغلاف للتمويه، وكانوا يضغطون على المعتقلين أثناء استجوابهم لانتزاع اعتراف من هذا القبيل.

مشروع الدورات الصيفية لطلبة الجامعات:

وكان صيف عام ٢٠٠٢ (جمادى الأولى وجمادى الثانية ورجب ١٤٢٣) متألقاً حيث لم أكن أعطل دروسي في الصيف، كما اعتادت الحوزة التقليدية في السنوات الأخيرة، بل كنت أستمر بالتدريس وكان ذلك كفيلا بتنشيط الحوزة العلمية بصورة عامة؛ لأن درسي في (كفاية الأصول) ــ وهو أعلى كتاب مقرر لعلم الأصول في الحوزة العلمية ـ كان يحضره الأساتذة والفضلاء ومن مختلف التوجهات فإذا استمروا معي في الدرس فأنهم سيستمرون مع طلبتهم في التدريس وهكذا تتوسع قاعدة الاشتغال بالدرس لتشمل قطاعاً واسعاً في الحوزة بحيث لا يظهر معها تعطيل بعض العلماء الآخرين مؤثراً على حركة الحوزة العلمية في موسم الصيف.

وكان من أهدافي من استمرار الدرس في الصيف[1] مضافاً

(١) مع شدة الحر في مدينة النجف المطلة على الصحراء وانقطاع التيار الكهربائي لساعات طويلة مع إصابتي بتهيج الحساسية في الجيوب الأنفية في

إلى إدامة نشاط الحوزة العلمية وتأثيرها في المجتمع، لأنها كانت تتلاشى في العطلة: هو إطلاق مشروع الدورات الصيفية لطلبة الجامعات والمعاهد العراقية ليلتحقوا بالحوزة خلال أشهر العطلة وتنظم لهم حلقات درس في الفقه والعقائد والأخلاق والمنطق والسيرة، وتكون بشكل مكثف لإنشاء جيل من الجامعيين الحوزويين الذين يصبحون مبلغين رساليين في ساحاتهم سواء كانوا في الجامعة أو المجتمع أو الدوائر التي سيعملون فيها.

وقد نجح المشروع في انطلاقته الأولى صيف عام ٢٠٠٢ والتحق أكثر من مائتي طالب من الجامعيين وشكلت لجنة من الفضلاء لتنظيم دروسهم وتهيئة السكن لهم في الفنادق والبيوت التي استأجرناها لهم وإطعامهم وسائر الأمور الخدمية الأخرى ويسر

هذه الأشهر مما يسبب رشحاً مستمراً فكنت أجلس على كرسي التدريس وبيدي الكتاب المقرر ودفتر الشرح الذي أمليه على الطلبة وفي حجري منديلان أحدهما لمسح العرق والآخر للرشح، ولا زال الطلبة يتذكرون ذلك المنظر مشفقين لحالي، ومع ذلك فقد كنا في أحلى اللحظات وأسماها لأننا نشعر أننا في مرحلة مفصلية في حياة الأمة وعلينا أن نبذل أقصى طاقاتنا مع ما نلمسه من اللطف والرعاية الغامرة من لدن الله تبارك وتعالى وإمام العصر (أرواحنا له الفداء).

الله تعالى ذلك بشكل عجيب، مع أن الذي يلتحق بالحوزة يعلم صعوبة ترتيب ذلك فلا يستطيع الطالب الملتحق حديثاً من تهيئة سكنه وتنظيم دروسه إلا بعد مدة طويلة، فضلاً عن كون العدد كبيراً بهذا المقدار، كما خصصنا مبلغاً شهرياً لكل منهم لتغطية أجور نقلهم وانتهت الدورة مع نهاية العطلة الصيفية، وشهد اليوم الأخير (وهو ٢٠٠٢/٨/٢٧) احتفال الأساتذة والطلبة بإتمام هذا الإنجاز الرائع، وكتبت لهم كلمة بهذه المناسبة قرأها المشرفون على الحلقات العلمية وسجلت فيها مآثر الطلبة والمشرفين والمساهمين في دعم المشروع.

ولقد أغاض هذا التألق السلطة ودهموا بما لم يحتسبوا واستدعوا بعض المشرفين على الحلقات للتحقيق في الأمر، وكشفت الوثائق التي عثر عليها في أوكارهم بعد سقوط صنمهم عن متابعتهم التفصيلية لها.

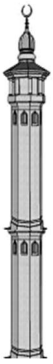

العمل في جامع الكرامة:

وكنت إلى جانب هذه الألوان من العمل الإسلامي مواصلاً لنشاطي في جامع حي الكرامة في النجف حيث أقيم صلاة الجماعة فيه منذ عام ١٩٩٥ وألتقي بالناس وأجيب على أسئلتهم

وألقي خطبة أسبوعية ظهر يوم الجمعة وأقيم صلاة العيدين حيث يتوافد المصلون من المناطق الأخرى ويمتلئ المسجد والساحة وينقطع الشارع المجاور وألقي خطبة العيد، حتى منعت من ذلك بسبب ما اعتبره مسؤول حزب البعث المقبور في المنطقة أنه تعريض بصدام وابنه عدي والسلطة في بعض الأمور، فاستعضت عنه بمجلس حسيني مساء كل أربعاء أدعو فيه أحد الخطباء الواعين، إلى أن أصبحت حركتي في هذا المسجد مقيدة بدرجة كبيرة، فانتقلت إلى مسجد حي الغدير وهناك كان المجال أوسع

للعمل وعُدت إلى إلقاء المحاضرات يوم الجمعة، وبدأت أعداد الحضور بالتزايد ومن مختلف المدن العراقية خصوصاً في المناسبات الدينية ويستمعون إلى الخطب ويتفاعلون معها، حتى كانت مناسبة المولد النبوي الشريف في ١٧/ربيع الأول/١٤٢٣هـ (٢٠٠٢/٥/٣٠) حيث كان الحضور حاشداً والتفاعل كبيراً ففقد أزلام النظام صبرهم وجاؤوا إلى المسجد حتى انتهيت من صلاة المغرب والعشاء وخرجت ولا زال الكثير من الناس موجودين خارج المسجد وطلب مني أحدهم أن أرافقه إلى مقر الحزب فأمسكت بيده وتنحيت جانباً وقلت له: إن الحديث الشريف يقول:

إذا رأيتم العلماء على أبواب الملوك فبئس العلماء وبئس الملوك، وإذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء فنعم العلماء ونعم الملوك، وأريد لنفسي ولك أن نكون نعم العلماء ونعم الملوك ونتجنب ردود الأفعال الغاضبة، فرفع صوته بالاستهزاء بهذا الكلام وحصلت مشادة بيننا فتدخل أحد المصلين ووجه إلى رأسه ضربة قوية بيده فأخذ يهدد ويتوعد وأصر على استدعائنا ـ أنا ومعي القائم بشؤون المسجد وصلاة الجماعة ـ وبعد حديث طويل وتهديد أبلغني بمنعي من الوصول إلى المسجد نهائياً، فانقطعت.

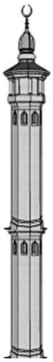

صفقات غير معلنة أودت الى شرخ العلاقة مع المكتب:

وهكذا بدأت الاحتكاكات مع السلطة تتزايد، وفي خطة منسجمة مع هذا التصعيد ومن باب تلاقي المصالح واشتراكها وبقدرة قادر، وصفقات لا نعرف تفاصيلها والوسطاء فيها، فقد بدأ بعض الذين اختفوا من العاملين في المكتب من الحاسدين والحاقدين الذين لا يرون لهم حظوظاً بالعودة والظهور والالتفاف حول نجل السيد الشهيد عليه السلام وإقناعه بالخروج وممارسة دوره في الإدارة المباشرة للمكتب).

(ودعمت السلطة هذا الاستقطاب المقابل ودفعت بعضهم

إلى أن يؤججوا الخلاف بيننا ويوغروا صدر السيد عليَّ وينبّهونه إلى خطورة صعود نجم الشيخ اليعقوبي وانتشار اسمه لأنه يؤدي تدريجياً إلى نسيان اسم السيد الشهيدقدس سره وذكروا لذلك دليلاً وهو شدة الإقبال على أشرطة تسجيل محاضرات الشيخ اليعقوبي وانحسار الطلب على أشرطة تسجيل خطب السيد الشهيدقدس سره ولقاءاته، وآتت هذه الخطة ثمارها فقد وقع شرخ في العلاقة بيننا خصوصاً وإنني كنت أنتقد بشدة بعض التصرفات المالية، وكانت حركتهم ضدي تزداد كلما نمت القاعدة الجماهيرية وازداد التفاف الحوزة والمجتمع حولي، حيث بدأ مسجد الرأس يغصّ بالحضور في محاضراتي التي ألقيها في المناسبات، وبلغت الذروة في محاضرة (عناصر شخصية المسلم في مدرسة أهل البيت عليهم السلام) التي ألقيتها[1] في ذكرى ميلاد أمير المؤمنين عليه السلام في ١٣/رجب/١٤٢٣ (٢٠٠٢/٩/٢١م)) ... (ومن ثمّ اتجهوا إلى زيادة الضغط لإخراجي من مسجد الرأس وبذلك يحققون أكثر من هدف:

١. إضعافي وتحجيمي لأنهم كانوا يعتقدون أن قوتي في

(١) كانت المحاضرة الأطول حيث استمرت ساعة و (٢٦) دقيقة والجميع منصتون كأن على رؤوسهم الطير.

وجودي في مسجد الرأس، وهو ما كانت تعتقده السلطة وتريد إبعادي أيضاً.

٢. حتى يشيعوا لدى أتباع السيد الصدر قدس سره أن الشيخ اليعقوبي خرج من خط السيد الشهيد وخذل مكتبه ونحوها.

ولم أعطهم مرادهم وبقيت مستمراً على تدريسي ووجودي ولم أخرج اختياراً ليكون أبلغ بالحجة عليهم، ولئلا أتخلى عن مسؤوليتي في رعاية الصدريين عموماً، الذين يجدون عزّتهم ومعقلهم في هذا المسجد الشريف)...

قصة الخروج من مسجد الرأس:

(وكان جلاوزة السلطة تتابع هذه التحركات وترفعها إلى الجهات العليا، كما كشفت تقاريرهم التي استولى عليها الشعب بعد سقوط النظام، واستمر التصعيد والضغط خصوصاً ما حصل في شهر رمضان في مبنى جامعة الصدر الدينية في مدرسة البغدادي، ولم تنجح محاولات التهدئة والتقريب التي قام بها بعض الفضلاء بعد انتهاء عطلة عيد الفطر).

(إلى أن حلّ يوم ٢٣/ذو القعدة/١٤٢٣ (٢٠٠٣/١/٢٧م) وهو اليوم الذي حدده فريق قناة الجزيرة الفضائية للحضور إلى مسجد

الرأس وتصوير درسي ـ باعتباره أكبر درس في الحوزة ـ وإجراء حوار معي ضمن برنامج عن الحوزة العلمية في النجف الأشرف... فأمر المكتب بإغلاق المسجد ثلاثة أيام، وحولت محل اللقاء إلى جامعة الصدر الدينية مساءً؛ حيث حضر الفريق إلى مدرسة البغدادي ومعهم ضباط الأمن والمخابرات وتحدّثنا بما يليق بمدرسة النجف العلمية.

وبعد هذا الحادث أبلغت بمنع المكتب إياي من دخول مسجد الرأس الذي قضيت فيه عشر سنوات تقريباً، وكان مصدر إشعاع في حياة السيد الشهيد قدس سره وبعده)...

(واحتفلت السلطة وفرحت كما فرح الحسّاد لظنهم أنهم قد قضوا على هذه الشعلة الوهّاجة المليئة بالحيوية، وأن الشيخ اليعقوبي سوف لا يكون أكثر من مدرّس في الحوزة يلقي دروسه في أي مكان ويعود إلى داره وأن قيادته وتوجيهه للحوزة العلمية سيضمحل.

الانتقال الى مسجد كاشف الغطاء:

لكن ظنهم خاب سريعاً فقد انتقلت إلى مسجد كاشف الغطاء ـ بعد أن استأذنت الأسرة ـ لإلقاء دروسي واستقبال

المراجعين، وازدهر المسجد بالحلقات العلمية وانتقل معي طلابي كما تحوّل الصدريون الواعون والمثقفون وأصحاب الدين إلى هذا المسجد لمراجعتي والاستفادة من توجيهاتي، لكنني أوقفت بعض النشاطات التي أخشى من ممارستها إلحاق الأذى بالمتولين على المسجد إلى أن يستقر وجودي في المسجد، فلم نأذن بتوزيع المنشورات إلا بشكل خاص جداً، وتوقّفت عن إلقاء المحاضرات الفكرية العامة؛ حرصاً على سلامة المشرفين على المسجد ولئلا أحملهم ما لا يطيقون)...

(ونقلت محاضراتي إلى جامعة الصدر، حيث تحدثت في الأول من ذي الحجة ذكرى زواج أمير المؤمنين عليه السلام من الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام عن (الزواج والمشكلة الجنسية) وحلّلت أسباب ومعوقات هذه السنة الإلهية المباركة وكيفية معالجتها وأطلقت مشروعاً لتشجيع الزواج.

وفوجئ أزلام النظام مرة أخرى بهذه الحركة الفاعلة، فأخذوا يضغطون على أسرة آل كاشف الغطاء التي تتولى أمور المسجد وخدّامه، لتحصيل المعلومات التفصيلية عن نشاطاتي، مضافاً إلى تواجدهم غير المعلن داخل وخارج المسجد، واستدعيت مرة أخرى للاستجواب من قبل مدير أمن النجف في

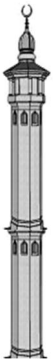

المديرية، هذا كله مع أنني لم أمكث أكثر من شهر في هذا المسجد، إذ جرت العادة على تعطيل الدروس في الحوزة في نهاية شهر ذي الحجة استعداداً للتبليغ في شهر محرم، ولم نعد للدراسة؛ إذ بدأ الغزو الأمريكي في محرم فاستمر التعطيل.

ارهاصات احتلال العراق:

وعلى صعيد آخر فقد كانت إرهاصات هجوم الأمريكان وحلفائهم على العراق تتكثف في الأشهر التي سبقت الهجوم، وكنت أتابع أخبار تحركات الحلفاء الغربيين والمعارضة العراقية والمؤتمرات المشتركة التي عقدوها في لندن وصلاح الدين وغيرها من الإذاعات العالمية، وتعليقات المحللين السياسيين وآراءهم، وأراقب تداعيات ذلك على الشارع العراقي الذي انتابه الخوف والقلق من المستقبل المجهول، ولا زلنا نتذكر مرارة هجوم الحلفاء السابق عام ١٩٩١م وما تلاه من أحداث مريعة، فأصدرت بياناً قبل الغزو بشهرين أو أكثر بعنوان (الاستماع إلى نشرات الأخبار أوقات الأزمة) لضبط إيقاع الشارع وتوجيهه في ظل الإشاعات والمخاوف.

القيادة الناطقة وموقفها من الحرب ضد الأمريكان:

وطلب النظام من المراجع والحوزة العلمية إصدار بيان لإعلان الجهاد ضد الغزو الأجنبي، وعقدوا مؤتمراً لعلماء الدين في إحدى القاعات الملحقة بالصحن الشريف، وألقى ممثلو مراجع الدين بيانات المرجعية بالمضمون الذي أرادته السلطة ونشر بشكل واسع بهذا المضمون، وحضرت أنا متأخراً إلى الاجتماع، وجلست في مكان متواضع بعيداً عن صدر المجلس! ولم أشارك بشيء.

وفيما عدا هذه البيانات ــ التي صدّق بها البعض واعتقد بوجوب مقاتلة الغزاة ــ فلم يترشح من المرجعية ــ كما هي عادتها في إهمال أمر الأمة ــ أي موقف إزاء هذه القضية الخطيرة المحدقة بالأمة، ليبين حقيقة ما يجب على الأمة فعله مع التناقض الحاصل في المواقف بين المعارضة الإسلامية الشيعية التي تواطأت مع المحتل وجلست معه تتقاسم الكعكة، وبين ما نسب إلى بعض المرجعيات في الخارج (الجمهورية الإسلامية) التي تدعو إلى الجهاد والمقاومة، أما أنا فكان موقفي الذي بينته للناس من دون أن أخشى الظالمين هو الوقوف على الحياد في هذه المواجهة، وعدم صحة الوقوف في وجه المحتلين بعنوان مقاومة الاحتلال؛ لأن في ذلك نصرة للظالم صدام وإدامة لبطشه، ولا الوقوف مع المحتلين

بعنوان جواز دفع الأفسد بالفاسد ـ كما كانت تروّج المعارضة ـ لأن في ذلك تسليطاً للكفار على المسلمين وإدخال البلد في دوامة لا يمكن التكهن بنهاياتها، ومادامت الحرب بين طرفين ظالمين فلا يجوز للمؤمنين الدخول فيها، وأن يكونوا وقوداً لنارها.

وانتشر هذا الموقف في أوساط الجماهير المؤمنة؛ لأنهم كانوا - بغض النظر عن المرجعية التي يقلدونها - يأخذون مواقفهم إزاء القضايا الاجتماعية مني بفضل الله تبارك وتعالى، وتعمقت ثقتهم بحركتنا ومواقفنا الجريئة والصريحة خلال السنوات الماضية، وبذلك أنقذ الله تبارك وتعالى الشعب من محرقة، وعجّل بسقوط الصنم، فلله الحمد أولاً وآخراً.

الموقف الحكيم للقيادة الرشيدة:

ونقل بعض الأخوة الذين مكثوا في جامعة الصدر طيلة أيام الغزو الأمريكي لحراستها من العابثين[1] أنهم حينما دخلوا مدينة

(١) اتخذت مجاميع من أزلام النظام وقوات الجيش مبنى الجامعة –أي مدرسة البغدادي- مقراً لهم عند اندلاع العمليات الحربية لموقعها الاستراتيجي المطل على المدينة، وقلعوا شبابيكها ووضعوا متاريسهم عندها حتى أخزاهم الله تبارك وتعالى فقتل من قتل وهرب من هرب، ولحماية

النجف ووصلوا إلى المدرسة، سألوا الطلبة فيها عمّن يقف وراء هذا الموقف الموحد للشعب العراقي الذي اختلف تماماً عن الموقف أيام الغزو عام ١٩٩١ بعد حرب الخليج.

وكنت دقيقاً في تصرفاتي إزاء النظام خلال هذه الفترة؛ لأنني أعلم أنه يصاب بهستيريا عندما يشعر بخطر يهدد وجوده ويخشى من تجربة مماثلة كادت تنهيه عندما اندلعت الانتفاضة الشعبانية بعد غزو الحلفاء عام ١٩٩١م، فمن المؤكّد أنه سيقوم باعتقال كل الرموز التي يتوقع منها التأثير على الجماهير.

فمثلاً جاءني أحد الإخوة الفضلاء في إحدى ليالي الشتاء الذي سبق الغزو ونقل تحيات المعارضة الإسلامية في الخارج ــ وكنت أعرف أسماءهم من خلال نشرات الأخبار ــ وأخرج جهاز هاتف محمول زودوه به وعرض رغبتهم في التحدث معي عن الوضع الراهن في العراق فرفضت بشدة وعنفته على القيام بمثل هذه الأعمال وعيون النظام تترصدنا بشدة، وعجبت لعقلية المعارضة الأنانية التي لا يهمّها ما يحصل لنا ما دامت هي آمنة

المدرسة من العبث والسرقة فقد مكث عددٌ قليل من الطلبة فيها رغم التعطيل ووجود هؤلاء الأشرار، ونسجل هذا الموقف الشجاع النبيل للتأريخ.

مطمئنة في الخارج، ويأتيها رزقها من كل (مكان).

وفي نفس الأيام جاءني أحد طلبة العلم المعروفين بالعمل الحركي وعلاقاته بالمعارضة المسلحة في أهوار الجنوب، وأحد الأخوة المحامين من العمارة، وقدّموا عرضاً من الجنرال قائد القوات الأمريكية في المنطقة الوسطى (ولم أكن أعرف معنى هذه العناوين في حينها) بواسطة أحد زعماء المعارضة الذي أصبح بعد الاحتلال عضواً في مجلس الحكم، ورغبته في التعاون لتحرير العراق !! وتخليصه من صدام وجلاوزته، فرفضت أيضاً لأنني لا أرى أن الحل يكون بالغزو الأمريكي، مع خطورة مثل هذه الاتصالات تحت أنظار النظام الصدامي الذي يعتبر مجرد التداول في هذا الكلام خيانة عظمى توجب الإعدام؛ لأن (الواجب الوطني)!! من وجهة نظره ـ أي النظام ـ يحتم على من يسمع مثل هذه الأحاديث أن يبلغ عنها السلطات الأمنية، أما التستر عليها وعدم الإخبار فهو اشتراك في (الجريمة) بحسب قوانينه الجائرة.

التفكير في آلية الخوض في النشاط السياسي وتمثيل الخط الرسالي سياسيا:

ولكن هذا الحذر لا يعني النكوص عن أداء وظائفي وتحمل مسؤولياتي، فقد قمت خلال السنتين الأخيرتين من عمر النظام

بحركة جريئة فيها الكثير من المجازفة وذلك حينما شعرت بالحاجة إلى تشكيل حزب سياسي، لأنني توقعت أحد أمرين في ظل التصعيد بين صدام والحلفاء الغربيين:

(**أحدهما**) تنفيذ الحلفاء لتهديداتهم وبدء عمليات عسكرية تنتهي بسقوط صدام ونظامه وإقامة عملية سياسية تعددية كما كانوا يعدون.

(**ثانيهما**) سعي صدام لفك عزلته الخارجية بالانفتاح على الشعب وكسبه إلى جانبه، فيسمح بتعددية سياسية ويعطي فرصة بدرجة من المقبولية للشعب ليعبر عن إرادته، ويحقق شراكة في إدارة البلاد لكل القوميات والطوائف.

وعلى كلا التقديرين فإن من الضروري وجود كيان سياسي يمثل الشريحة الواسعة التي تنتمي إلى الخط الرسالي.

وكان مجرد التفكير بمثل هذا المشروع فضلاً عن البوح به والسعي لتنفيذه يعتبر جريمة كبرى من وجهة نظر النظام، ولا بد من الانتقاء الدقيق لمن نكلفهم بالأمر، وقررت أن يكونوا من التكنوقراط وأساتذة الجامعات والذين أعرف جملة منهم.

واخترت ليكون على رأس هذا التشكيل أستاذاً جامعياً من بغداد متخصصاً في العلوم السياسية، وكان ممن والى السيد

الشهيدقدس سره في حياته وانخرط في حركته، وألّف ــ في ذروة حركة السيد الشهيدقدس سره في شباط ١٩٩٨ ــ كراساً عن أبعاد ولاية الفقيه وقيادة الأمر عند السيد الصدرقدس سره وعرضه بواسطة أحد الفضلاء على السيد قدس سره الذي اعترض أول ما اعترض على عنوان الإمام لأنه يراه مختصاً بالأئمة المعصومين عليهم السلام.

وبعد استشهاد السيد الصدرقدس سره عرّفه لي بعض الفضلاء من طلبة جامعة الصدر، والتقينا به عدة مرات وتبادلنا أحاديث متنوعة لاختبار شخصيته، وكنت ألامس الموضوع من بعيد لأكتشف استعداده وقناعته بالأمر والظروف المناسبة، حتى فاتحته بالمشروع واقتنع به، ولم نتحرك أبعد من ذلك (الأستاذ المذكور ومعرفيه من الفضلاء) ثم بدأت عمليات المحتلين يوم الخميس ١٦/محرم/ ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣/٣/٢٠م) وانتهت بسقوط صنم صدام يوم الأربعاء ٦/صفر/١٤٢٤هـ المصادف ٢٠٠٣/٤/٩م، وسقط النظام، فسافرت إلى بغداد لمتابعة ما بدأنا به).

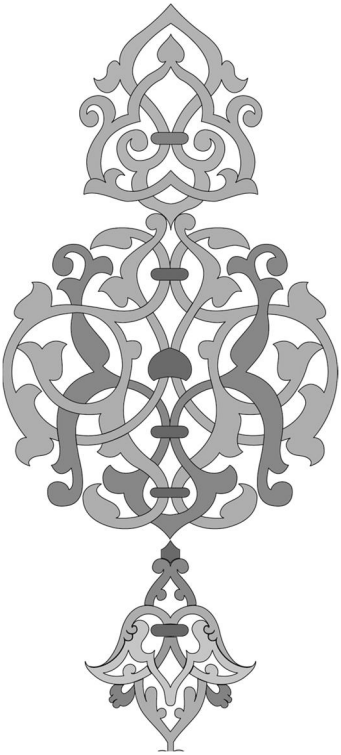

الفصل الثامن

قيادة الحركة الإسلامية
ما بعد سقوط صدام عام ٢٠٠٣م

قيادة الحركة الإسلامية
ما بعد سقوط صدام عام ٢٠٠٣م[١]

الحرب لاحتلال العراق:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيد خلقه أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

لقد سادت ظروف الحرب الحياة في العراق قبل بدئها بأسابيع فدبَّ القلق والخوف من المجهول وشُلَّت أكثر مرافق العمل، وانشغل الناس بتجميع ضروريات الحياة وتخزينها فارتفعت الأسعار ولم يكن بمقدور الأكثر توفير احتياجاتهم؛ للفقر المدقع الذي ابتلي به أكثر العراقيين والحصار المفروض، وكان ضرورياً توجيه بيان إلى الشعب يعرّفه بواجباته ويطمئنه ويشرح للناس ما

(١)توثق هذه الكلمات المواقف القيادية التي تبناها سماحة المرجع اليعقوبي من خطابات وبيانات وتوجيهات وتعليق على الأحداث في الفترة التي تلت احتلال القوات الأمريكية وحلفائها للعراق عام ٢٠٠٣، وكذلك بيان لظروف وملابسات تلك الفترة.

يجب فعله.

وبدأ العد التنازلي للحرب مع مهلة الثمان وأربعين ساعة التي منحها الرئيس الأمريكي لصدام المقبور لكي يترك السلطة ويغادر العراق، وتوسطت لإقناعه بعض الدول الخليجية من دون نتيجة، فبدأ الهجوم مساء الخميس ١٦ محرم/١٤٢٤ الموافق ٢٠٠٣/٣/٢٠ بعبور القوات الأمريكية مع دباباتها وآلياتها من الحدود الجنوبية مع الكويت ورافقها طلعات السلاح الجوي وإطلاق الصواريخ من الخليج وبحر العرب والمحيط الهندي، وزحفت القوات الأمريكية المحتلة شمالاً في الصحراء غرب العراق بمحاذاة المحافظات الواقعة على الفرات، وكانت تحصل مناوشات لا ترقى إلى تسميتها معارك كلما اقتربت من المدن للقضاء على أية مقاومة، وتهاوت أوكار النظام الواحدة تلو الأخرى خلال أيام كلما تقدمت القوات المحتلة شمالاً، فسقط النظام بمحافظات الناصرية ثم السماوة فالديوانية فالنجف الأشرف، وكان بعض أفراد الجيش العراقي يعتقد فعلاً أنه يؤدي واجبه الوطني في مقاومة القوات الغازية، وفرّت فلول النظام واستبشر أهالي النجف وخرجوا إلى الشوارع في حين كانت قوات الاحتلال تتقدم نحو بغداد.

الفوضى تعم البلاد وتوجيهات القيادة الرشيدة:

وبسبب الاحتقان والحرمان الذي كان يشعر به الشعب والمرارة الطويلة من الأنظمة المستبدة المجرمة فقد قام بعض الناس بمهاجمة مقرات السلطة والحزب ومؤسسات الدولة ونهبوا ما فيها، وكان ذلك بضوء أخضر وتسهيل من قوات الاحتلال التي أرادت لحالة التخريب والتدمير أن تحصل، ودرّبت آلافاً من الرجال من العراقيين وغيرهم في الخارج لعملية سرقة منظمة لحضارة العراق العريقة وتدمير حاضره لكي يبنوا مستقبل العراق على وفق ما خططوا له، لكن المؤسسات التي أرادوا لها أن تبقى بما فيها ــ كوزارة النفط ــ فقد حموها بسرعة، وحصلت حوادث انتقام وتصفية، مما استدعى إصدار بيان توجيهي إلى الشعب لتوعيته وإلفات نظره إلى واجباته ومسؤولياته في هذه المرحلة الخطيرة وعلاقته مع الأحزاب العائدة من الغربة، في الوقت الذي كان النظام حاكماً في بغداد التي تقدمت إليها القوات الأمريكية ودخلتها بلا قتال يذكر ودخلت إلى وسطها وأسقطت تمثال صدام في ساحة الفردوس يوم الأربعاء ٦/صفر/١٤٢٤ المصادف ٢٠٠٣/٤/٩ معلنة سقوط النظام وانتهاء حكمه الإجرامي.

التحديات الجديدة:

وبدأت عند ذاك صفحة جديدة من التحديات هي أوسع وأعقد وأصعب مما مضى، فقد حضر الشياطين الكبار بأنفسهم ومعهم أحدث التقنيات للإفساد وتمييع الهوية الإسلامية وبخطط ودعوات ماكرة خبيثة تخفي سمومها على أكثر الناس بعد أن طلَوها بالعسل الزائف الزائل، وجاؤوا ليؤسسوا مشروع الشرق الأوسط الكبير انطلاقاً من العراق، ولتطبيق (العولمة) التي يريدونها والتي تقتضي تذويب هويات الشعوب واقتصادياتها وسياساتها لتسير في ركاب الغرب وتلتحق بمسيرته نحو الانحدار، ومكنوا لهذه الهجمة بترسانة عسكرية ضخمة مؤلفة من أكثر من مائة ألف جندي وأحدث الأسلحة الفتاكة، وقد رسموا سياسة لإدارة مباشرة لشؤون العراق مع وضع واجهات عراقية عقدوا معها صفقات في مؤتمرات سبقت الغزو في لندن وروما وصلاح الدين وزيارات متكررة إلى واشنطن، على أن ينطلقوا بعد ذلك لتغيير المنطقة كلها.

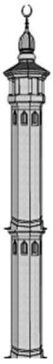

مرجعية الدين:

ومواجهة هذا المشروع الخطير الواسع تتطلب تقديم الإسلام كمشروع حضاري قادر على أن يقود الحياة بكل مفاصلها ويقدم رؤية ناضجة ومتكاملة، وأن يشخص النقص في المشروع المادي

الـذي جـاء بـه الغـرب ويكشـف فشـله فـي تحقيـق السـعادة للفـرد والمجتمع، ويبصر الأمة بالنتائج الكارثية التي تحصل بالسير معهم كما هو واضح من سلوكياتهم ومشاكلهم التي يعانون منها.

وكان من أهم المبادئ التي أراد سماحته تأصيلها للمرحلة الجديدة هي مرجعية الدين وأنه الأصل الذي يُبنى عليه الوضع الجديد، وعدم تجاوز المرجعيات الدينية، فعندما عقدت قوى المعارضة التي دخلت العراق مؤتمراً لها في الناصرية بعد أن تحررت من قبضة النظام، أوعز سماحة الشيخ إلى أتباعه ومريديه هناك لتنظيم مسيرة وتجمع عند محل الانعقاد لتنبيه المؤتمرين إلى ضرورة الرجوع إلى العلماء عند رسم مستقبل العراق ونظامه الجديد، فاحتشد حوالي (٢٠) ألفاً وأوصلوا رسالة قوية إلى زعماء العراق الجديد، واستمر هذا التأصيل في كل المراحل التالية.

المرجعية التقليدية ومواجهة التحديات الجديدة:

ولا نكشف سراً إذا قلنا أن الجو العام في الحوزة العلمية في النجف الأشرف لم يكن متهيئاً لمواجهة تلك التحديات بسبب غلبة المدرسة التقليدية التي اعتادت إهمال أمر الأمة وعدم التفاعل مع الأحداث مضافاً إلى المعاناة القاسية التي عاشتها الحوزة بشكل عام

من بطش صدام المقبور الذي أفقدها الكثير من علمائها ومفكريها.

تأصيلات القيادة الرشيدة:

أما سماحة الشيخ فقد كان مواكباً للأحداث ومهتماً بشؤون الأمة قبل زوال الصنم كما اتضح مما سبق من هذه المذكرات[1]، وكان يحسب لهذه الأمور وأعد لها المشاريع المناسبة.

ظروف إعلان الاجتهاد والتصدي للمرجعية الدينية:

ولأجل إلقاء الحجة وإعطاء الفرصة للمرجعيات الكبيرة حتى تأخذ دورها قام بزيارتهم وعرض عليهم تلك المشاريع ــ كمقترح إنشاء جماعة الفضلاء وإقامة صلاة الجمعة في النجف الأشرف ــ وقدم خبرته وعرض نصرته لكي ينهضوا بالمسؤولية التي تتطلبها المرحلة الجديدة، ولم يجد غير التمييع والتشكيك والسلبية.

وحينئذٍ لم يجد سماحته بداً من تحمل مسؤولية المواجهة الحضارية مع المشروع الغربي التي نبّه إليها وباشر فيها قبل ذلك بسنتين، لكنه صار من الضروري إعلان استقلاليته عن المراجع

(١) ويمكن مراجعة المجلد الأول والثاني من خطاب المرحلة لتنظر عمق التأصيلات النظرية والعملية التي دشنها سماحته.

الآخرين وقدرته على المضي في المشروع، ومن شروط ذلك التصريح بتحقق ملكة الاجتهاد التي أخفاها سنين مراعاة للتقاليد الموجودة في الحوزة العلمية، لكن لم يكن هناك وقت للمجاملة والانتظار، ولم ينتظر الشهادة من أحد لأنه لم ولن يتوقع صدورها منهم، ومع ذلك فقد تبرع عدد من المجتهدين في قم المقدسة وعدد من العلماء في النجف الأشرف بكتابة هذه الشهادات بعد عدة أشهر (جزاهم الله خير جزاء المحسنين).

الجماهير الواعية:

وقد ولد هذا الإعلان ارتياحاً وفرحاً لدى الكثير من المؤمنين الواعين والمثقفين الحركيين؛ لما يعتقدونه من وجود مؤهلات المرجعية والقيادة في سماحته، وقد أثبتت أهليته خلال السنوات الأربعة التي تلت استشهاد السيد الصدر الثاني قدس سره حتى سقوط الصنم.

وبعد شهر تقريباً من السقوط اتخذ سماحته مكتباً قرب الحرم الشريف يدرس فيه صباحاً ثم يبدأ جلسته العامة لاستقبال المراجعين والضيوف من علماء وسياسيين ورجال فكر ووفود شعبية من عامة المؤمنين حيث كان يغص بهم المكتب يومياً، ثم

يتوجه حين حلول أذان الظهر إلى مسجد الكرامة حيث رجع إلى إمامة الصلاة فيه بعد السقوط ويعود إلى المكتب عصراً ليستقبل ذوي المواعيد الخاصة إلى ما بعد صلاة المغرب والعشاء.

وبدأت الوفود تترى عليه بالمئات ثم بالآلاف لمبايعته على القيادة وولاية أمر الأمة وكان يخرج لاستقبالهم حيث يزدحمون في الشارع ويلقي فيهم كلمة توجيهية وكان يطلب منهم توقف هذه الوفود لأنه ليس بصدد التصدي للمرجعية فضلاً عن ولاية الأمر وأنه ما زال ينتظر من الآخرين ليتقدموا ويتحملوا المسؤولية وأنه ومن معه مستعد لنصرة أي مرجع يكون بمستوى التحديات القائمة.

الطعن في الخلف:

ومع كل هذا التأكيد فقد أثارت هذه الحركة المتصاعدة لسماحة الشيخ وحركته الجماهيرية وقاعدته الحوزوية الواسعة حفيظة أقطاب المؤسسة الدينية فعملوا على تحجيم حركة سماحته بمختلف الأساليب حتى انحدرت إلى مستوى إصدار الاستفتاءات الخطية التي تنال من سماحته وتحط من قدره لتفريق القاعدة عنه، ولم يزده ذلك إلا تسامياً وتكرماً عن الرد بالمثل، بل قال في أحد

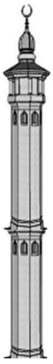

لقاءاته أنني أمتنع حتى عن الدفاع عن نفسي لأنه يستلزم القدح في الآخرين ونزاهة كلماتهم وهذا ما لا أريده لهم.

وقد توقفت هذه الوفود فعلاً، وبعد ثلاثة أشهر تقريباً ترك سماحة الشيخ مكتبه قرب الحرم الشريف وأخذ يستقبل ضيوفه ومراجعيه في داره الذي يقع في حيّ بعيد عن الحرم الشريف ليهدأ بال الآخرين.

الذهاب الى بغداد واعلان الاجتهاد:

يقول سماحته في مذكراته المختصرة عن تلك الفترة: (وجدت أكثر من دافع للذهاب إلى بغداد فسافرت يوم الخميس ٢١/صفر/١٤٢٤ الموافق ٢٠٠٣/٤/٢٤ بعد سقوط الصنم بأسبوعين والتقيت بعدد من الفضلاء والأساتذة الجامعيين والمثقفين لبلورة مشروع سياسي للمرحلة القادمة كنت قد أعددتُ مبادئه قبل ذلك[1]، وحل يوم الجمعة ورأيت أن منبر الجمعة خير نافذة نطل منها على الناس لنوضح لهم معالم المرحلة الجديدة وما ينبغي عمله، فصار الاتفاق على إمامة الجمعة في الصحن الكاظمي الشريف وحصل تبليغ سريع للمؤمنين ليلة الجمعة وصباحها،

(١) تقدم الكلام عن هذا المشروع في المجلد السابق.

فحضرها الآلاف غص بهم الصحن الشريف وامتدت صفوفهم إلى خارجه، وأعلنت في الخطبتين أني مجتهد لي حق النظر في مصادر التشريع لاستخراج أحكام كل واقعة تحدث للأمة، وقابل المؤمنون هذا الإعلان بالفرح والتكبير والشعارات الحماسية.

تصدي المرجعية الدينية لمطالب الشعب العراقي:

وتأكيداً لأهم أسس بناء العراق الجديد وهو العمل ضمن إطار توجيهات المرجعية الدينية فقد دعوت المؤمنين إلى القيام بمسيرة يوم الاثنين ٤/٢٨ من ساحة الفتح قرب المسرح الوطني إلى ساحة الفردوس حيث يقيم في الفنادق المطلة عليها مراسلو وسائل الإعلام والمسؤولون الأجانب، وقد كانت المسيرة ضخمة جداً رغم محاولة بعض الجهات إلى التبري منها وعدم المشاركة فيها، وكانت مطالبها واضحة بأننا شعب مسلم ونرفض قيادة البلد من دون الرجوع إلى المرجعية الدينية).

وكانت جميع الخطب والبيانات الصادرة في تلك المرحلة واضحة في المطالبة بإنهاء الاحتلال والرجوع إلى الشعب في اختيار من يحكمه بانتخاب جمعية وطنية أولاً تقوم بتشكيل حكومة مؤقتة وهيئة لكتابة الدستور يعرض على الشعب لنيل

موافقته، ثم إجراء انتخابات عامة لتطبيق النظام الذي ينص عليه الدستور.

وكانت القوى المتسلطة في العراق والماسكة بأموره من احتلال ومَن اتفق معه لا تصغي لتلك المشاريع الناصحة، وتريد أن تفرض أجندتها التي جاءت بها، ولكنها لما تفشل تعود لتأخذ بما عرضه سماحة المرجع قبل ذلك بمدة، ويكلف هذا الفشل المزيد من الدماء والأموال والخراب والزمن المهدور والتخلف عن ركب الإنسانية.

فبدأوا بقيادة عسكرية لإدارة البلاد، ثم بإدارة مدنية وحاولوا ـ للتمويه ـ تشكيل مجلس استشاري من نخب عراقية ـ سياسيين ورجال دين وأكاديميين وتكنوقراط ـ فرفض سماحة الشيخ كل المشاريع، ثم تحوّلوا إلى تأسيس ما سمّي بمجلس الحكم لإعطاء انطباع أن هذا المجلس العراقي هو من يحكم العراق، وانبثقت عنه حكومة مؤقتة، وظلوا يتخبّطون حتى أذعنوا للموافقة على الخطوات الانتقالية التي أوردها سماحة الشيخ في مشروعه.

معركة التأسيس الجديدة:

وفي موازاة ذلك كان سماحة الشيخ يخوض معركة

التأسيس للمرحلة الجديدة بكل جوانبها، يقول سماحته:

(وبعد ذلك انطلقت المؤسسات والمشاريع التي نعتقد بضرورة وجودها للنهوض بمتطلبات المرحلة الجديدة وكان أهم معالمه العمل السياسي وضرورة اقتناص الفرصة التي أتيحت للطائفة المحرومة المظلومة وإبراز أغلبيتها واستحقاقها في أن يكون لها الدور الأكبر في النظام الجديد، وتطلب ذلك الكثير من التضحية مني حفاظاً على هذه الوحدة والتماسك ودعمنا بقوة المشاركة في العمل السياسي وأوجبنا على الأمة أن تقف وراء قيادتها أملاً في تحقيق الخير والصلاح).

مؤسسات لقيادة المشروع الإسلامي:

ورغم حداثة التجربة وقلة الإمكانيات المادية البشرية، فقد تحرّك سماحته بمن معه من الشباب من الحوزة وخارجها وأنشأ كيانات تؤلف مشروعاً حضارياً ناضجاً، ومن تلك التشكيلات:

١. فروع جامعة الصدر الدينية في المحافظات لنشر الحوزات العلمية في المحافظات حتى تجاوزت عشرين فرعاً استفاد منها أكثر من ألفي طالب.

٢. فروع جامعة الزهراء عليها السلام لنشر الحوزات العلمية الدينية

للنساء وقد بلغت فروعها في المدن المختلفة (١٤) ضمت حوالي (٨٠٠) امرأة.

٣. جماعة الفضلاء لتنظيم عمل الحوزة العلمية في المجتمع وضم رجالها في كيان منظم.

٤. حزب الفضيلة الإسلامي لتمثيل قواعد المرجعية ومن يؤمن بمشروعها في العمل السياسي.

٥. العشرات من منظمات المجتمع المدني بمختلف النشاطات ومراكز البحوث والدراسات.

٦. عدة إذاعات محلية تُوِّجت بقناة فضائية.

٧. مكاتب إعلامية ودور نشر.

لا تشغلنا الأحداث عن الهدف الحقيقي:

يقول سماحة الشيخ (دام ظله الشريف) عن السنوات الأولى من العمل في هذه المرحلة:

(ورغم أهمية العمل السياسي إلا أننا كنا ومنذ خطاباتنا الأولى نحذر من الانهماك فيه والانشغال بالصراع على المناصب إلى حد نسيان المبادئ والأهداف التي نريدها في حياتنا والتي ضحى من أجل تحقيقها السلف الصالح وهي إعلاء كلمة الله

تبارك وتعالى ونشر تعاليم أهل البيت عليهم السلام وصلاح الأمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكنا نؤكد عليها حتى في أشد اللحظات غفلة عنها حينما تحلو الدنيا ويلوح بريق المناصب أو حينما تشتد الأزمات والمواجهات.

وبمرور الوقت واشتداد حلاوة الدنيا التي انفتحت على مصراعيها فقد زلت أقدام الكثيرين وضاعوا في الصراعات المحمومة والتنافس المذموم على حطام الدنيا الزائف حتى وصل حالهم إلى التقاتل وسفك الدماء التي حرمها الله تبارك وتعالى، ولم تنفع بيانات النصح والموعظة والتذكير.

سحب المرجعية الرشيدة تأييدها للسياسيين:

وعلى أثر ذلك فقد ضعف حماسنا لدعم السياسيين، وابتعدنا عن الحالة شيئاً فشيئاً، ولم نجد حلاً في نهاية الأمر لإعلان براءتنا من المتصدين للسلطة والحكم وسحب تأييدنا السابق إلا بأن نأمر أتباعنا في حزب الفضيلة الإسلامي بالانسحاب من مفاوضات تشكيلة الحكومة عام ٢٠٠٦ وقد حاول المتصدون إقناعنا بالعودة وتقديم المغريات من أجل إسكاتنا إلا أننا أصررنا على الموقف وأعلمناهم بأن قرار الانسحاب (مرجعي) وليس قراراً (حزبياً) حتى

يمكن أن يخضع للصفقات والمصالح المتبادلة).

وقد كلّف هذا القرار سماحته الكثير من الحملات المسعورة للتشويه والتسقيط والافتراء والكذب وإلصاق التهم مع إقصاء لأتباع المرجعية ومحاصرتهم وتطويقهم، مضافاً إلى الاعتداء على بعض مؤسسات المرجعية وقد كانت بأيديهم كل مقومات التأثير، فبيدهم السلطة بكل مفاصلها والمال الوفير والإعلام الرسمي والديني ومدعومة بالفتاوى المتقدسة، ومع ذلك كله فقد كان سماحته واثقاً بنصر الله تبارك وتعالى ولم يستفزوه وتسامى عن الرد عليهم ومضى بنور الله تعالى على بصيرة من أمره يعبر عن مظلومية الشعب ومحروميته ويقف للفساد والاستبداد والاستئثار بالمرصاد.

مسؤوليتنا حماية التشيع:

يقول سماحته: (لقد تحملنا كل ذلك لأننا وجدنا أن من مسؤوليتنا حماية التشيع كعقيدة ومدرسة من ممارسات المحسوبين عليها ممن يسمون شيعة، الذين لم يأبهوا لهذه الخسارة الاستراتيجية من أجل تحقيق مكاسب شخصية آنية زائلة، فكان لزاماً علينا أن نتخذ موقفاً شجاعاً يبرز الفرق بين التشيع والشيعة عندما يسيئون التصرف ويصدر منهم ما يتنافى مع التعاليم السامية

لهذه المدرسة المباركة.

وقد أدى الانسحاب إلى نتيجة مهمة أخرى وهو كشف القناع الطائفي عن السياسيين المتصارعين وفضح تسترهم بالطائفية لحشد كل من الفريقين طائفته من ورائه مع أن الصراع في حقيقته سياسي لقضم أكبر مقدار ممكن من الكعكة التي يتنافسون عليها، وما الدعوات الطائفية إلا لتضليل الناس وسوقهم ليكونوا وقوداً في المعركة فتسيل دماء الأبرياء وتخرب دورهم ويهجروا منها وتقطع أرزاقهم من أجل أن يتمتع أمراء الحروب، وبعد هذا الانفصال والبينونة في الفكر والسلوك والمبادئ الذي أحدثته بياناتنا ومواقفنا فقد وضحت الرؤية وكانت بداية الطريق حيث خمدت جذوة الصراع الطائفي وبدا ما كانوا يخفون من الصراع السياسي.

وتحملنا وحدنا ضريبة القيام بهذه المسؤولية، ولم يرُقْ عملنا للآخرين سواء كانوا زعماء دينيين أو سياسيين، لكن الذي يهون علينا أنه كله بعين الله تعالى وبعين إمامنا صاحب العصر والزمان أرواحنا له الفداء. الذي كانت قضيته والتمهيد لدولته المباركة هي القضية المصيرية والاستراتيجية في كل الحركة والأفكار والمشاريع، ولم تغب عنا بل كانت البوصلة لمسيرتنا.

اعادة النظر في تقييم الأمة:

لقد شعرنا بضرورة أعادة النظر في تقييم الأمة ومدى قدرتها على تجاوز الامتحان، فإنها وإن نجحت بدرجة من الدرجات في امتحان الشدة والضراء وإدبار الدنيا في عهد المقبور، إلا أنها فشلت فشلاً ذريعاً في امتحان العافية وإقبال الدنيا، مما يتطلب وضع برامج جديدة للتربية والتهذيب والإصلاح، خصوصاً مع حدوث امتحان جديد للمرجعية والحوزة هو ابتلاء بناء الأمة ككيان اجتماعي واحد في ضوء ما شرحناه في محاضرة (الأسس العامة للفقه الاجتماعي) مضافاً إلى المسؤولية التقليدية عن بناء وإرشاد الأفراد كأفراد، وهذا مما لم تألفه المرجعية الدينية والحوزة العلمية عموماً في مراحلها السابقة).

ابراز معالم المرجعية:

وانطلق سماحة الشيخ (دام ظله) لإبراز بعض معالم مرجعيته من العام ٢٠٠٦، فبدأ بحث الخارج في الفقه في شعبان /١٤٢٧ الموافق أيلول /٢٠٠٦ واختار للبحث والمناقشة المسائل الخلافية التي تتميز بالعمق العلمي وكونها ذات أثر عملي في حياة الأمة، كما بدأ بنشر رسالته العملية (سبل السلام) على شكل حلقات متتابعة في صحيفة الصادقين ابتداءً من العدد (٣٩) الصادر بتأريخ

١٥/صفر/١٤٢٧ الموافق ١٦/آذار/٢٠٠٦.

خطاب المرحلة يحكي مواقف المرجعية وتوجيهاتها:

والخلاصة أن من يقلب صفحات مجلدات كتاب خطاب المرحلة (الذي يوثق لخطابات وبيانات سماحة الشيخ اليعقوبي ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق بعد استشهاد استاذه الشهيد الصدر قدس سره فإنه سيعيش مع القيادة خلال تلك السنين كل آلامها وآمالها وتحدياتها ومشاريعها، ويتحسس مواضع الخطر والحذر، والنصر والهزيمة، وما تضمنت من صفحات إيجابية ومواقف مشرّفة وخططاً للإصلاح والبناء لا تختص بالمرحلة التي صدرت فيها وإنما هي متجددة وصالحة حتى للمستقبل، وهذا معنى المرحلية في هذه الخطابات فإنها لا تعني الانغلاق على زمان الصدور والاختصاص به، بل تعني مواكبة الزمان والتجدد معه وتأهيل كل مرحلة لتكون حلقة في سلسلة الحركة الربانية الممتدة من الزمان السحيق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ويقيم دولة الحق والعدل.

وسيجد من خلالها سعة المسؤولية التي يجب أن تتحملها القيادة الدينية الحقة، وما يجب أن تحيط به من علوم ومعارف

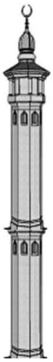

وخصال كريمة؛ لكي تكون وارثة حقاً للأنبياء والمرسلين والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين.

تحريك الخط التقليدي للمرجعية:

وكان من ثمرات حركة سماحة الشيخ تحريك الخط التقليدي للمرجعية الدينية ليكون لهم دورٌ بالأحداث، إما عن قناعة وإما خوفاً من سحب البساط من تحتهم وإعراض الناس عنهم عندما يكتشفون أن عدم أدائهم لدور اجتماعي ليس لوجود المانع من بطش الأنظمة المتعاقبة أو عملاً بالتقية، بل لعدم وجود القدرة والأهلية لممارسة الدور القيادي للمرجعية الدينية، وكانوا يتبنون مواقف سماحة الشيخ اليعقوبي ولو بعد حين، بل ربما انتظروا أحياناً صدور موقف من سماحة الشيخ إزاء قضية معينة ليتبنّوه من دون الإشارة إلى مصدره.

الاستمداد من القرآن الكريم في حركة الإصلاح:

ولقد استفاد سماحة الشيخ (دام ظله) في خطابه من مدرسة القرآن وحركته في إصلاح الأمة التي طالما دعا القادة والمصلحين وعموم الأمة إلى الاستفادة منها، وبرزت هذه الاستفادة من خلال عدة أساليب:

١. توظيف كل حقول العلم والمعرفة التي تناولها كالسياسة والاقتصاد والتأريخ والاجتماع واللغة والطب وغيرها، وتحريك كل قنوات هذه المعارف المؤثرة في توجيه الإنسان وحركته كالعقل والنفس والضمير والوجدان للوصول إلى الهدف وهو الإصلاح والهداية إلى الكمال ببلوغ رضا الله تبارك وتعالى.

٢. التدريجية والمرحلية: فإن هذا الكتاب لم يقدمه سماحته دفعة واحدة وإنما خرج إلى الأمة نجوماً وأبعاضاً بحسب المناسبات والدواعي، ليكون مواكباً لحركة الأمة وملاحقاً لأحداثها، وليقدّم الجرعة المناسبة في الوقت المناسب فيكون أجدى في الفهم والتأثير.

٣. استمرارية التأثير والانتفاع: لأن الخطابات وإن صدرت في مناسبات وأوقات محددة إلا أن صياغتها بشكل يخدم الهدف الاستراتيجي وهو بناء الفرد الصالح والأمة الصالحة والدولة الكريمة جعل هذه الخطابات مستمرة العطاء والانتفاع ما دام الهدف لم يتحقق، ولا تنتفي فائدتها بفوات المناسبة.

الفهرس

الفصل الأول..... ٥
نسبه وأسرته ٧
ولادته و نشأته ١٠
الدراسة الحوزوية ٢١
الفصل الثاني ٢٧
بداية الالتحاق بالحركة الإسلامية ٢٩
تصاعد الحس الحركي: ٢٩
مع الشباب الواعي: ٣٠
انعزال السيد الصدر: ٣١
الالتحاق بالجامعة: ٣٢
التوجه نحو النجف والتعرف على السيد الصدر: ٣٣
منهج الحوزة الشريفة والعلماء السلف: ٣٤
التركيز على الجانب الحركي: ٣٧
الجاهلية في المفهوم القرآني: ٣٩
التربية الإيمانية في ظلمات الدنيا: ٤١
التواصل عبر المراسلات: ٤٢

الشوق الى التكامل: ٤٤
ترجمة السيد الشهيد لنفسه: ٤٥
إشكالية التحزب في الحركات الإسلامية: ٤٧
التفسير المعنوي لآيات القرآن الكريم: ٤٩
مسلك رجال الدين والالتفات الى عيوب النفس: ٥٠
الامتنان لمن دلني على طريق المعرفة الإلهية: ٥١
أهداف السائرين الى الله تعالى: ٥٢
مقامقات السائرين وأحوالهم: ٥٢
بركة التعرف على الشهيد الصدر: ٥٣
من قصص السيد الشهيد الصدر: ٥٥
حينما يغمرنا الصدق مع الله تعالى: ٥٧
حوادث ما بعد ١٩٨٧م: ٥٧
الفصل الثالث ٦١
من تاريخ الحركة الإسلامية ٦٣
والسيد الشهيد الصدر الثاني ١٩٨٥ – ١٩٩٠ ..... ٦٣
اللقاء الأول بالشهيد الصدر: ٦٣
الانفراج النسبي عن الشهيد الصدر: ٦٦
نمو المظاهر الدينية وأثرها على الحوزة: ٧١
تأليف ما وراء الفقه: ٧٢

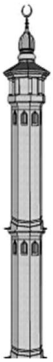

أثر انتهاء الحرب على العلاقة مع الشهيد الصدر: ٧٤
الفصل الرابع ٧٧
حرب الخليج: ٧٩
الشراراة الأولى: ٨٠
النجف رائدة الثورة: ٨١
الثورة وعلماء الدين: ٨٢
التفكير لقيادة الانتفاضة: ٨٣
المواجهة مع النظام: ٨٦
القيادة الجديدة للثورة: ٨٨
اعتقال السيد الشهيد الصدر قدس سره والقضاء على الانتفاضة: ٩١
الفصل الخامس ٩٥
تعريف المشروع السياسي: ٩٧
قيادة الحركة الإسلامية في ظل البطش الصدامي: ١٠٠
استثمار نتائج الانتفاضة الشعبانية المباركة: ١٠٣
المرجعية والعمل السياسي: ١٠٣
ما الذي دفع الناس إلى اتباع السيد الشهيد الصدر قدس سره: ١٠٧
معالم المشروع السياسي للسيد الشهيد الصدر: ١٠٧
النشاطات السياسية للسيد الشهيد الصدر قدس سره: ١١١
الطعنات من الخلف: ١١٤

لماذا أجّل السيد الشهيد تصعيد المواجهة مع النظام؟ ١١٧
التصدي للمرجعية أساس الانطلاق في المشروع الإسلامي: ١١٩
الفصل السادس ١٢١
تطويق النجف: ١٢٣
صبيحة الاستشهاد: ١٢٤
الجمعة الأخيرة: ١٢٥
رسالة السيد الصدر قدس سره قبيل الرحيل: ١٢٥
الاعتداء الأثيم وأحداث الليلة الموحشة: ١٢٦
ردة فعل النجف من حادثة اغتيال الشهيد الصدر: ١٣٤
مجلس العزاء: ١٣٦
شهادة الدكتور الشمري: ١٣٧
هكذا هي: ١٣٩
الفصل السابع ١٤١
تمهيد: ١٤٣
رحيل السيد الصدر الثاني قدس سره: ١٤٦
مرقد الشهيد الصدر محلاً للثائرين: ١٤٧
الإحساس بالمسؤولية: ١٤٧
القيادة مسددة بالطمأنينة وقوة القلب: ١٤٨
الاستخلاف للقيادة النائبة: ١٤٩

التربية العلمية كانت مستندة الى جذور عميقة: ١٥٠
القرابة القريبة والمنزلة الخصيصة: ١٥١
موقف أولاد السيد الشهيد قدس سره: ١٥٢
جدوى مواصلة الخط الحماسي الذي دشنه الشهيد الصدر: ١٥٢
السير على منهاج البصيرة وخط الوعي: ١٥٤
الخطوط العريضة للعمل بعد الاستشهاد: ١٥٤
التوسع التدريجي: ١٥٦
الاستمرار والتحدي: استراتيجية جديدة في العمل الإسلامي: ١٥٧
جامعة الصدر: نقطة انطلاق الوعي الجديد: ١٥٩
الرصيد العلمي والاحتكاك المباشر بالسلطة: ١٦٠
شرعية الاستمرار بالعمل: ١٦١
خطورة إعلان الاجتهاد: ١٦١
التحدي العلمي واختصار الزمن: ١٦٤
معالجة انقسام الحوزة والمجتمع: ١٦٥
الخط المعتدل وتأييد السيد الشهيد قدس سره له: ١٦٧
العداء المرير: ١٦٧
السير على خط التضحيات: ١٦٨
المواجهة مع نظام صدام: ١٦٨
المواجهة الداخلية: مع بعض المتلفعين بالعمائم: ١٧٠

القيادة الميدانية: ١٧٢
من داخل البيت الصدري: ١٧٣
مع انتفاضة ١٧/آذار: ١٧٥
تصدي السيد بحر العلوم: ١٧٦
مآل مكتب الشهيد الصدر قدس سره: ١٧٧
لقاء أمن صدام بنجل السيد الشهيد ومرافقتي له: ١٧٧
الانطلاق من مسجد الرأس: ١٨٠
المحاضرات العامة: أسلوب جديد في التصدي للعمل الإسلامي: ... ١٨٢
ثورة (الكاسيت) والمنشور: ١٨٦
الحركة الإسلامية تلتقط أنفاسها: ١٩١
تقريرات الأمن ضدنا: ١٩١
اجتذاب المثقفين: ١٩٢
المناورة مع السلطة: ١٩٢
محاولة السلطة تحجيم الحركة الإسلامية: ١٩٤
نقد السلطة وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ١٩٥
خطوات أدخلت الرعب على نظام صدام: ١٩٦
تصعيد الخطاب الديني أبان أحداث ١١/سبتمبر ٢٠٠١: ١٩٨
الصراع الحضاري مع الغرب: ١٩٨
مواصلة الحركة الإسلامية لجهود الشهيد الصدر: ١٩٩

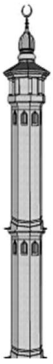

مشروع الدورات الصيفية لطلبة الجامعات: ٢٠٠
العمل في جامع الكرامة: ٢٠٢
قصة الخروج من مسجد الرأس: ٢٠٦
الانتقال الى مسجد كاشف الغطاء: ٢٠٧
ارهاصات احتلال العراق: ٢٠٩
القيادة الناطقة وموقفها من الحرب ضد الأمريكان: ٢٠٩
الموقف الحكيم للقيادة الرشيدة: ٢١١
التفكير في آلية الخوض في النشاط السياسي وتمثيل الخط الرسالي سياسياً: ٢١٣
الفصل الثامن ٢١٧
الحرب لاحتلال العراق: ٢١٩
الفوضى تعم البلاد وتوجيهات القيادة الرشيدة: ٢٢١
التحديات الجديدة: ٢٢٢
مرجعية الدين: ٢٢٢
المرجعية التقليدية ومواجهة التحديات الجديدة: ٢٢٣
تأصيلات القيادة الرشيدة: ٢٢٤
ظروف إعلان الاجتهاد والتصدي للمرجعية الدينية: ٢٢٤
الجماهير الواعية: ٢٢٥
الطعن في الخلف: ٢٢٦

الذهاب الى بغداد واعلان الاجتهاد: ٢٢٧
تصدي المرجعية الدينية لمطالب الشعب العراقي: ٢٢٨
معركة التأسيس الجديدة: ٢٢٩
مؤسسات لقيادة المشروع الإسلامي: ٢٣٠
لا تشغلنا الأحداث عن الهدف الحقيقي: ٢٣١
سحب المرجعية الرشيدة تأييدها للسياسيين: ٢٣٢
مسؤوليتنا حماية التشيع: ٢٣٣
اعادة النظر في تقييم الأمة: ٢٣٥
ابراز معالم المرجعية: ٢٣٥
خطاب المرحلة يحكي مواقف المرجعية وتوجيهاتها: ٢٣٦
تحريك الخط التقليدي للمرجعية: ٢٣٧
الاستمداد من القرآن الكريم في حركة الإصلاح: ٢٣٧